سلسلة دراسات الفكر المعاصر ٦

الحداثيون العرب ونصوص الإمامية

محمد عابد الجابري والقضية المهدوية أنموذجاً

■ د. ليث عبد الحسين العتابي

مركز براثا للدراسات والبحوث
Baratha Center for Studies and Research

■ الحَدَاثِيُّونَ العَرَبُ ونُّصُوص الإِمَامِيَّة
مُحَمَّد عَابِد الجَابِرِيّ والقَضِيَّة المَهْدَوِيَّة أُنمُوذَجًا
- د. ليث عبد الحسين فرحان العتابي-

◆ رقم الطبعة: الأولى
◆ تاريخ الطبعة: ٢٠٢٥ م - ١٤٤٦هـ
◆ مكان الطبعة: بيروت - بغداد

الآراء المطروحة لا تعبر عن رأي المركز بالضرورة

© جميع الحقوق محفوظة للمركز

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد

Baratha Center for Studies and Research
www.barathacenter.com
barathacenter@gmail.com

الحداثيون العرب ونصوص الإمامية

محمد عابد الجابري والقضية المهدوية أنموذجاً

• د. ليث عبد الحسين فرحان العتابي

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد

سلسلة دراسات الفكر المعاصر

التعرُّف على الأفكار المعاصرة من أوجب واجبات عصر السماوات المفتوحة وطفرة تقنية المعلومات؛ فكما وَرَد عن الصادق (ع): «العالم بزمانه لا تهجُم عليه اللَّوابسُ.» وعن علي (ع): «حَسْبُ المرءِ ... من عِرفانه، عِلْمُه بزمانه.» فكم من شبهات قديمة وخدع بالية تحاول تجديد نفسها في كل عصر بثوب جديد ومصطلحات ومقاربات حديثة، إلا أن العالم المدقق يستطيع أن يميّز بينها وبين الإبداع الفكري الذي ينطلق من ثوابت الدين وأصوله، ويبدع في التطبيقات والتفريعات.

في عصر جاوزت فيها أعداد الجامعات والمؤسسات البحثيَّة عدة آلاف وتعمل كماكِّينات لا تتوقف لتوليد الأفكار، قررنا في «مركز براثا للدراسات والبحوث» ومن خلال (سلسلة دراسات الفكر المعاصر) أن نقدم للقارئ قراءة نقديَّة واعية للنظريات والأفكار المعاصرة، على موازين معرفية إسلامية أصيلة؛ من أجل إطفاء بريق كل ما هو جديد، وإزالة الرهبة التي تصنعها أدوات التبجيل والتفخيم، لنحاكم الفكرة المجرّدة على أرضيّة موضوعيّة.

بعد طفرة تقنيات الاتصال والمعلومات وانتشار شبكات التواصل الاجتماعي، نشأت همومٌ وأسئلة ودوافع وأنماطُ تفكير جديدة أعادت هندسة المفاهيم التي كانت معتادة، وأمام موجات الإحيائية والحداثوية والإنسانوية و...، كان لابد من الاستجابة لهذه التحديات باستحداث مشروع فكري إسلامي فاعل، يفرز بين الجديد والمستعاد، ثم يفكك الأفكار وينسبها إلى أصولها وأوَّلياتها، ويكشف الغموض عن الأفكار الملتبسة والمتلبِّسة. أو تقديم قراءة جديدة للمفاهيم الأصيلة تجيبُ عن أسئلة الحاضر، من خلال مقاربات تأسيسية تحافظ على الهوية الإسلامية.

المُقَدِمَّةُ

إنَّ البحـثَ عـن النَّـص ومكانته في التراث أمـرٌ مهمٌّ، ذلـك أنَّ تراثَ الشـعوبِ وتاريخها ومنجزاتها، ودينها وعقائدها، وعاداتها وتقاليدها، كل ذلـك قد حُفظ عن طريق "النص"، ومجموع تلك "النصوص" قد شـكَّل تاريـخَ تلك الشـعوب، وهذه النُّصـوص المدونة قد مـرت بتاريخ طويل مـن الأخذ والرد، ومن الأزمـات، ومن وجود أيدٍ تريد العبـثَ بها، وتريد تحريفها، أو استبدالها بنصوص أخرى مصنوعة بحسب الطلب.

إنَّ مـن المهم أن نعرف بأنَّ النَّص إن كانت طرق نقله متعددة ومتنوعة؛ فلا يمكن لجهة واحدة أن تحرِّفه عن مساره، أو تأوله بما تشتهي، أو تمنعه؛ لأنَّ هنـاك طرقًا أخرى قد حفظته مـن أن يتم التلاعب به، وبهذا ينهار جزءٌ كبير، أو جزء معتـدٌّ به من الأيديولوجيا التي تريد أن تقاوم عشرات الطرق لنقل النص، هدفها حصر المراد بطريق واحد، أو بفهم وتفسيرٍ واحد، لأنَّه يخدمها.

في عصرنـا الحاضر، فإنَّ الباحث عن آراء الحداثيين العرب بخصوص تعاملاتهم مع التراث سـيجد أنَّهم ينتقـدون كل شيءٍ بالتراث، ويتعاملون

معه بتشـكيك، لكن عندما يتعرضون إلى التراث الإمامي، وإلى النُّصوص الإماميـة فإنَّ تعاملهم يختلـف، إذ هم ينفون النَّص الإمامـي، أو يُقصونه إقصاءً تامًا، أو يتهمونه بتهم كثيرة لا أساس لها.

ومن اليقين أنَّ هناك عوامل متعددة أدت إلى ذلك التعامل الأيديولوجي العدائي، قد بيَّناها في هذا الكتاب، في محلها.

أما لو جئنا إلى الكاتب والحداثي المغربي (محمد عابد الجابري) فإنَّ النَّص الإمامي يشكل عقدةً كبيرةً عنده، وهو لا يدَّخر جهدًا في كَيلِ التهم لـه، والبحث عن الآراء الشـاذة ليلصقها بالإمامية وبالتشـيُّع، ويبحث في كل زاوية عن كل شـاردة وعن كل تهمة وعن كل مثلبة ليلصقها بالإمامية، وبنصوصهم وتراثهم.

أمَّا بشـأن القضيـة المهدوية والنصـوص الخاصة بها، ورغم شـهرتها إسـلاميًّا، وعند علماء أهل السـنة، -فضلاً عن الشـيعة- فإنَّ (محمد عابد الجابـري) يبحث عن الآراء الشـاذة والمخالفة للمشـهور بشـأنِّ القضية المهدويَّة، ليأتي بها، وليشـكك بحقيقتها، وليتهمَ الإمامية بأنَّهم أصحاب أساطير، كون القضية المهدوية أُسطورة، بحسب مدعاه.

في هـذا الكتاب سـنقف عنـد تعامـلات (محمد عابـد الجابري) مع نصـوص القضية المهدوية، والتُّهم التي وجههـا لها، وكيفية الرد على كل ذلـك ضمن مباحث ومطالـب أُعدَّت لبيان موقـف الحداثيين العرب من النص الإمامي عمومًا، ومن نصوص القضية المهدوية خصوصًا.

ففـي هذا الكتاب، سـنتناول تعامـلَ الحداثيين العـرب مع النصوص الإماميـة، وبالخصوص تعامل (محمد عابد الجابري) مع نصوص القضية المهدوية، ضمن مباحث كالآتي:

المبحـث الأول: الحداثـة العربيـة تعريفها وسـماتها، إذ يتضمن هذا المبحث جملةَ مطالب هي:

المطلـب الأول: الحداثيـون العـرب اصطلاحًا وما يتعلـق بذلك من توضيحات.

المطلب الثاني: سمات الحداثة العربية.

المطلب الثالث: سمات الخطاب الحداثي العربي.

أما المبحث الثاني فهو حول موارد الاستمداد الحداثي، إذ يتضمن هذا المبحث على تمهيد وتوضيح، وجملة مطالب هي:

المطلب الأول: موارد الاستمداد الخارجي.

المطلب الثاني: موارد الاستمداد الداخلي.

المطلب الثالث: موارد الاستمداد المشترك.

والمبحث الثالث سـيكون حـول النص الإمامي في ميـزان الحداثيين العرب، إذ يتضمن جملة مطالب هي:

المطلب الأول: تقسيمات النَّص الإمامي.

المطلب الثاني: طرق تعامل الحداثيين العرب مع النص الإمامي.

المطلب الثالث: التهم الموجهة للنص الإمامي من قبل الحداثيين العرب.

ومن ثم يأتي المبحث الرابع حول (محمد عابد الجابري) والتعامل مع النص الإمامي، وتضمن جملة مطالب هي:

المطلب الأول: الانتقائية في التعامل مع النص الإمامي.

المطلب الثاني: الإقصاء في التعامل مع النص الإمامي.

المطلب الثالث: اتهام النص الإمامي بتهم متعددة.

المطلب الرابع: القبول المصلحي والطائفي بالنص الإمامي.

وأخيرًا المبحث الخامس بعنوان : (محمد عابد الجابري) والتعامل مع نصوص القضية المهدوية، وتضمن جملة مطالب هي:

المطلب الأول: اتهام النص الإمامي الخاص بقضية الإمام المهدي عليه السلام بأنَّه لا معقول.

المطلب الثاني: اتهام النص الإمامي الخاص بقضية الإمام المهدي عليه السلام بالهرمسية.

المطلب الثالث: اتهام النص الإمامي الخاص بقضية الإمام المهدي عليه السلام بتهم أخرى متنوعة.

وفي الخاتمة، ذكرنا جملة من النقاط المهمة التي لخصت ما تقدم من مباحث ومطالب.

الفَصْلُ الأَوَّلُ

الحَدَاثَةُ العَرَبِيَّةُ.. تَعرِيفُهَا وَسِمَاتُهَا

المَبحَثُ الأَوَّلُ:
الحَدَاثِيُّونَ العَرَبِ اصطِلَاحًا

إنَّ من أساسيَّات البحث في هذا الكتاب، هو تعريف المراد بالحداثيين العرب، وما المقصود بهم ومن هم؟

إنَّ الحداثيين العرب هم: "طائفة من الكُتاب درسوا أفكار بعض الفلاسفة الغربيين الذين لم يكونوا على وفاق مع الإسلام، وتتلمذوا على يد بعض الفلاسفة العرب والمستشرقين من الذين حاولوا تصحيحَ بعض الأفكار المتعلقة بمبادئ الإسلام"[1]. وهم ممن يسكن في الوطن العربي أو ممن ينتمي بالأصل له، وليس ممن يتكلم العربيةَ فقط، أو من سكن فيه فقط، وهو لا ينتمي له بالأصل.

إذن، فإنَّ الحداثيين العربَ كانوا متأثرين بجملةٍ من فلاسفة أوروبا والغرب، وبأساتذتهم الأوائل وبجملة من المستشرقين، بل إنَّ سمة العلمانية هي السمة البارزة عندهم، صرحوا بذلك أم لم يصرحوا.

---

١ - إيمان أحمد الغزاوي: الحداثيون العرب وموقفهم من القرآن: ظاهرة الوحي أنموذجًا، ص٢.

لذلك، قِيل بأنَّ المنتمين «إلى الفكر الحداثي في العالم العربي يشكلون تيـارًا يمكن أن نعتبره هو الصوت البـارز الذي يمثل التيار العلماني القائم اليوم»[١] في العالم.

ولو تفحصنا أغلبَ أو جميعَ توجهـات الحداثيين العرب؛ لوجدنا بأنَّ الاتجـاه العلماني هو الاتجاه البارز عندهم، وهو يظهر من خلال كتاباتهم وآرائهم وتصريحاتهم، بل وتصرفاتهم.

أمَّـا عن مصادر الحداثيين، فتُعتبر كُتب الاسـتشراق وموسـوعاته هي المصـادر الأساسـية عندهم، ويعتمـدون عليها أكثر مـن اعتمادهم على المصادر الإسلامية رغم كثرتها وتنوعها[٢].

إذن، فإنَّ المصدر الاستشراقي يُعد أساسيًّا في الدراسات لدى الحداثيين العرب، وهم يعتمدون عليه، ومنه يسـتمدون أكثر شبهاتهم وموارد نقدهم للتراث الإسـلامي، وللقرآن الكريـم، مضافًا إلى مصادر اسـتمداد أخرى سيُبينها البحثُ في محلها.

أمَّـا عن كتابات الحداثيين العرب فيقول الأسـتاذ (عبـد الإله بلقزيز): «فالغالـب عـلى كتابـات هؤلاء إمَّـا الانطلاق مـن فرضيـات خاطئة في البحث، أو الذهاب إلى أحكام واستنتاجات تنوء المادة الثقافية أو الفكرية

---

١ - محمـد بن حجر القرني: موقف الفكر الحداثي العربي من أُصول الاسـتدلال في الإسلام: دراسة تحليلية نقدية، ص٢٦.

٢ - عبد العزيز بن سعد الشهري: التناص، ص٥٥.

المدروسة بحملها»[1].

إنَّ ذلك من الملاحظات المهمة المُشخصَّة والمسجلة على كتاباتهم، والتي أوردها الكثير ممن انتقدوهم أو انتقدوا مشاريعهم.

من ثمَّ إنَّ هناك مصطلحات أخرى مقاربة لمصطلح الحداثة، كـ(المعاصرة، والقراءة الجديدة، والتحديث)، فكل مصطلح له معناه، ومراده، وتطبيقاته.

يمكن هنا أن نقف عند موجات الحداثة العربية، وهي:

١ـ المَوجَةُ الأُولىَ:

انطلقت هذه الموجة في أواخر القرن التاسع عشر، ومع بداية القرن العشرين الميلادي، ولقد كان لهذه الموجة ثلاثة أسس رئيسة هي:

أ ـ إعادة قراءة التراث.

ب ـ طرح مشاريع للنهوض.

جـ ـ الانعتاق من أَسر الحضارات الأجنبية.

٢ـ المَوجَةُ الثَّانيَةُ:

والتي انطلقت في الخمسينيات من القرن العشرين الميلادي، ولقد كان لهذه الموجة جملة أُسس منها:

أ ـ إعادة قراءة النصوص الشرعية.

---

١ - عبد الإله بلقزيز: نقد التراث، ص٢٥٢.

ب ـ استخدام المناهج الحديثة في قراءة النصوص الشرعية.

ج ـ تطبيق المناهج الحديثة على القرآن الكريم.

٣ـ المَوجَةُ الثَّالِثَةُ:

والتي انطلقت من نهاية الستينيات للقرن العشرين الميلادي، وبالدقة بعد النكسة العربية عام (١٩٦٧م)، ولقد كان لهذه الموجة عدة أسس ومنطلقات منها:

أ ـ القطيعة مع التراث.

ب ـ الحس النقدي.

جـ ـ تأويل ما في التراث بما يتلاءم مع مبتغياتهم.

د ـ الأسلوب الإقصائي.

٤ـ المَوجَةُ الرَّابِعَةُ:

بحسب قراءات الباحث فإنَّها موجة من المقلدة للموجات المتقدمة، مع كونها موجة مقلدة للغرب، ولهذه الموجة جملة من الأُسس، منها:

أ ـ تقليد الحداثيين الأوائل.

ب ـ التقليد الحَرفي لأوروبا والغرب.

ج ـ نفي التقديس.

رُمُوزُ وَشَخصِيَّاتُ مَوجَاتِ الحَدَاثَةِ العَرَبِيَّةِ:

في هذا المطلب سنتطرق إلى ذكر أبرز رموز وشخصيات الحداثة العربية:

أَوَّلاً: رُمُوزُ وَشَخصِيَّاتُ المَوجَةِ الأُولَى:

إنَّ من أبرز رموز وشخصيات الموجة الأولى هم:

١ـ رفاعة الطهطاوي (١٨٠١- ١٨٧٣م).

٢ـ فارس الشدياق (١٨٠٤-١٨٨٧م).

٣ـ خير الدين التونسي (١٨٢٠-١٨٨٩م).

٤ـ محمد عبده (١٨٤٥-١٩٠٥م).

٥ـ قاسم أمين (١٨٦٣-١٩٠٨م).

ثَانيًا: رُمُوزُ وَشَخصِيَّاتُ المَوجَةِ الثَّانِيَة:

إنَّ من أبرز رموز وشخصيات الموجة الثانية هم:

١ـ طه حسين (١٨٨٩-١٩٧٣م).

٢ـ أمين الخولي (١٨٩٥-١٩٦٦م).

٣ـ محمد أحمد خلف الله (١٩١٦-١٩٩١م).

ثَالثًا: رُمُوزُ وَشَخصِيَّاتُ المَوجَةُ الثَّالِثَةُ:

فإنَّ من أبرز رموز وشخصيات الموجة الثالثة هم:

١ـ إحسان عباس (١٩٢٠-٢٠٠٣م).

٢ـ محسن مهدي (١٩٢٦-٢٠٠٧م).

٣ـ محمد عابد الجابري (١٩٣٦-٢٠١٠م).

٤ـ عبد الله العروي (١٩٣٣م).

٥ـ جورج طرابيشي (١٩٣٩-٢٠١٦م).

٦ـ محمد اركون (١٩٢٨-٢٠١٠م).
٧ـ عبد المجيد الشرفي (١٩٤٢م).
٨ـ نصر حامد أبو زيد (١٩٤٣-٢٠١٠م).
٩ـ طيب تيزيني (١٩٣٤-٢٠١٩م).
١٠ـ محمد شحرور (١٩٣٨-٢٠١٩م).
١١ـ حسن حنفي (١٩٣٥-٢٠٢١م).
١٢ـ أدونيس (علي أحمد سعيد أسبر).

رَابِعًا: رُمُوزُ وَشَخصِيَّاتُ المَوجَةِ الرَّابِعَةِ:

نعم، إنَّ من أبرز رموز وشخصيات الموجة الرابعة هم:

١ـ هشام جعيط (١٩٣٥-٢٠٢١م).
٢ـ طه عبد الرحمن.
٣ـ يوسف صديق.
٤ـ سعيد ناشيد.
٥ـ رشيد أيلال.
٦ـ محمد بن الأزرق الأنجري.
٧ـ مصطفى بو هندي.
٨ـ هالة الوردي.

المَبحَثُ الثَّانِي:
سِمَاتُ الحَدَاثَةِ العَرَبِيَّة

إنَّ للحداثة العربية جملةً من السمات، وهذه السمات مخالفةٌ أو مفارقةٌ لسمات الحداثة العالمية، وإن ادَّعى دعاةُ الحداثة العربية أنَّ سمات حداثتهم كسِمات الحداثة العالمية، فإنَّ التتبع الدقيق يثبت لنا عدم وجود تلك السمات، بل إن للحداثة العربية جملة من السمات التي تتسم بها، أبرزها:

١ـ السِّمَةُ الأُولَى: البُعدُ عَن الوَاقِع:

إنَّ من أهم سمات الحداثة العربية هي الانفصام عن الواقع، فهي حداثةٌ مفارقةٌ، لا تقترب من آمال وطموحات المجتمع العربي، بل هي منعزلة، بعيدة عن هموم المجتمع، وبعيدة عن واقع الطرح العلمي والمعرفي، وبعيدة عن الواقع التاريخي للأمَّة العربية.

نعم، فإنَّ "الحداثة العربية المعاصرة تعاني من أزمة انفصام حقيقي، ذلك أنَّ الحداثيين العرب المعاصرين تعاملوا مع المنجزات الحداثية الغربية بوصفها لبِنة مستقلة عن سياقاتها التاريخية والاجتماعية ومنفصلة عن منظومتها المعرفية"[1]. وهذا يدلل على الخطأ الذي وقعت فيه الحداثة

١ - كريم الوائلي: تناقضات الحداثة العربية، ص٩٤.

العربية في فهمها لحداثة أوروبا والغرب.

إنَّ للانفصام أنواعًا كثيرةً، ومنه الانفصام الإيجابي والآخر السلبي، وما يمكـن أن نتعرف عليه في سـمات الحداثة العربية أنَّهـا تمارس الانفصام السلبي والمضر بالمجتمع، لذلك رجع عليها الكثير من ارتداداته، ولاقت مـرارة ذلك بمـا عانته من عزلة حقيقية عن المجتمـع عمومًا، وعن الطبقة المثقفة خصوصًا.

٢ـ السِّمَةُ الثَّانِيَةُ: الاغترَابُ:

إنَّ مـن سـمات الحداثـة العربية أنَّها تعيـش حالة مـن الاغتراب عن واقعها، في عالم مغايـر لعالمها وذات نظريات بعيدة عن المراد، كما وأن نماذجها غير منتمية لواقعها.

فـإنَّ الحداثة العربية "مغتربة عن الواقـع الاجتماعي العربي ومتعالية عليـه، فلقـد قـدم الحداثيـون العـرب نصوصًا تعكـس واقعًـا مختلفًا ومغايرًا"[١].

إنَّها حداثةٌ مغتربةٌ وبشكل مفكك، فهي قد قدمت حداثةً للشعر العربي بشـكلٍ معين، لكنَّها لم تسـتطع أن تُقدم حداثة في العلم أو في الاقتصاد، وهكذا الحال في باقي المناحي الأخرى والمهمة.

---

١ - كريم الوائلي: تناقضات الحداثة العربية، ص٩٥.

٣ـ السِّمَةُ الثَّالِثَةُ: النَّرجِسِيَّةُ:

إنَّ من أهمّ سمات الحداثة العربية هي حالة النرجسية التي تعيشها هذه الحداثة، وبالخصوص عند دُعاتها أو مفكريها أو منظريها.

نعم، فإنَّ الحداثة العربية تعاني من أزمةٍ حقيقيةٍ مع الآخر من ناحية، ومع السياقات التاريخية من ناحية ثانية، وهي -في الوقت نفسه- حداثةُ مجموعةٍ من المثقفين، أو الإنتلجنسيا بالمفهوم الغربي أي "النخبة"، يتحاورون ويتناقشون بعيدًا عن الشارع العربي، بمعنى أنَّهم لا يعبرون عنه ولا يؤثرون فيه[١]. فهم منفصلون عن المجتمع، يعيشون حالةً من النرجسية المفرطة، منعزلون في أبراج عاجية بعيدًا عن المجتمع وهمومه. يؤكد على ذلك (محمد عابد الجابري) بقوله: «إنَّ الكتاب الذي يصدر بيننا ويؤلفه واحدٌ منَّا نتداوله فيما بيننا نحن فقط، ولا يُوزع منه إلا حوالي ستة آلاف نسخة فقط في شعبٍ يزيد على مائة وخمسين مليونًا»[٢].

إنَّ ذلك بحق هو الانفصال والانفصام عن المجتمع وعن همومه، سببت ذلك النرجسية المفرطة عند دعاة الحداثة العربية.

إنَّ نرجسية المثقفين والحداثيين العرب هي واحدة من الأمراض التي تفتك بجسم الثقافة العربية، فيمكن العثور في سجل المثقفين العرب على عددٍ هائلٍ ممن أصابهم هذا المرض[٣].

---

١ - كريم الوائلي: تناقضات الحداثة العربية: ص٩٨.

٢ - محمد عابد الجابري: الحداثة في الشعر، ص٢١٣.

٣ - عبد الإله بلقزيز: نهاية الداعية: الممكن والممتنع في أدوار المثقفين، ص٤٠.

٤ـ السّمَةُ الرَّابِعَةُ: التَّقليدُ:

إنَّ الحداثة العربية حداثةٌ مُقلِدّة وليست حداثة أصيلة، فهي تقلد حرفيًّا الحداثة الأوروبية والغربية، وهو تقليدٌ سيء بكل معنى الكلمة.

يقول الأستاذ (عبد الإله بلقزيز): "ما أكثر الحداثيين العرب الذين لا دور لهم سوى إتيان فعل العَنعَنة وتحويل نصوصهم إلى ساحةٍ مفتوحةٍ لسوق الاستشهادات والنُقول. هم غُفْلٌ في نصوصهم فلا نكاد نعرفهم إلا بتوقيعٍ ممهور باسم ناقل متسول. بئس تلك الحداثة حداثتهم. بل ما أبعدها عن الحداثة حتى لا نقول إنها أصولية ثقافية جديدة ليست تختلف عن سابقتها أو مُجايلتها من الأُصوليَّات"[1].

إنَّها حداثة تُقلد لمجرد التقليد، وليس فيها أيُّ عنصر إبداعي، أو أي إضافةٍ معرفيةٍ مفيدة لها أو للمجتمع، بل إنها كانت -بسبب التقليد- حداثة مضرةً فرديًا واجتماعيًا، فهي تنقل عن الغير، وتحكي عن الغير، وتناقش الغير، وتطرح حلولاً هي للغير، فما فائدة مثل هكذا حداثة، فهي إلى الضرر أقرب منها إلى النفع.

٥ـ السّمَةُ الخَامسَةُ: القَولُ بالمَركَزيَّة الغَربيَّة:

إنَّ من سِمَات الحداثة العربية أنَّها تؤمن بمركزية الغرب، ومركزية الحضارة الأوروبية والغربية، وبالتالي أفضليتها وتقدمها.

---

١ - عبد الإله بلقزيز: العرب والحداثة: دراسة في مقالات الحداثيين، ص٣٢.

فـإنَّ الحداثـة العربية تؤمـن بـ"الاعتقـاد بمركزية الحضـارة الغربية، والقيـاس عليها، والاحتكام إليها، فالغرب هـو الغرب المتفوق في جميع المجالات، خصوصًا الجانب المعرفي"([1]).

فالتأثـر الواضح بالحضارة الغربية من جانب، والانبهار المفرط بها من جانب آخر، قد دعا الحداثيين العرب إلى القول، بل إلى الإيمان بالمركزية الغربيّة، وأنَّ لها الأفضلية في جميع المجالات العلمية والمعرفية والسياسية والاقتصادية، بل وحتى الدينية، إذ إنَّ الاعتقاد السائد عند الحداثيين العرب أنَّ الغـرب ما إن تـرك الدين حتى تقدم وتطور، لذلك فهم يدعون إلى مثل ذلك، مضافًا إلى الدَّعوات الأخرى الإلحادية واللادينية.

المَبحَثُ الثَّالِثُ:
سِمَاتُ الخِطَابِ الحَدَاثِيّ العَرَبِيّ

إنَّ للخطاب الحداثي العربي جملةً من السمات، منها:

١ـ عَدَمُ الثَّبَاتِ:

إنَّ الخطاب الحداثي العربي قد عُرف بِسـمة عـدم الثبات، والهلامية،

١ - مصطفى الحسن: النص والتراث، قراءة تحليلية في فكر نصر أبو زيد، ص٢٠.

وعـدم الاسـتقرار، فـ"الخطاب الحـداثي العربي يعتمد أسـلوب الخداع والتلاعـب بالألفـاظ والمراوغـة والاختبـاء خلـف العبـارات الموهمة، والأفكار الملتبسـة، فهو يَبنـي ويهدم في آن، ويرفـع ويُخفض، ويُعلي ما انتقصه من قبل، وينقض ما ثبته، وهكذا دواليك"[١].

يرى الباحث بأنَّ الخطاب الحـداثي العربي ومن كثرة تبنيه لآراء معينة تارةً ونقدها تارةً أخرى وقع في التذبذب، كما وأنه خطاب فردي من جانب، وغـير واضح الملامح من جانب آخر، وهذه السـمة أثَّرت على المسـتمع العربي وشوشت تفكيره.

٢ـ عَدَمُ وُضُوحِ البَيَانِ:

إنَّ الخطاب الحداثي العربي قد اشـتهر عنه سـمة أنه معروفٌ بالالتواء والتلاعب بالألفاظ والأقوال والمواقف، فالحداثيون العرب قد عُرف عنهم ذلـك، فإنَّ "نظرتهـم إلى النصوص الإبداعية بأنَّهـا نصوص حمالة أوجه لا يمكن القبض على معناها، محاولين ممارسـة لعبة الكتابة على الشـكل الملتـوي المتلاعب بالعبارات لتكون نصوصًا إبداعية...، فهم يمارسـون لعبـة الكتابة...، وهذا يقتضي من القارئ لفكرهـم وكتاباتهم مراعاة ذلك عند ممارسته للقراءة مع هذه الممارسة للكتابة من قِبَل أصحابها"[٢].

---

١ - الحارث فخري عيسى عبد الله: الحداثة وموقفها من السنة النبوية، ص٥٢.

٢ - الحارث فخري عيسى عبد الله: الحداثة وموقفها من السنة النبوية، ص٥٣.

يرى الباحث بأنَّهم يمارسون الالتواء والتلاعب، حيثُ يستحيل معهما فهم المراد لفظًا ومعنىً، إذ إنَّهم يتلاعبون بالعبارات بشكلٍ ملتوٍ، إذ يقتضي ذلك قارئًا من نمط خاص، يعرف فنَّ القراءة، ويعمل وفق الأُسس العلمية والمعرفية الصحيحة.

٣ـ عَدَمُ الاهتمَامِ بِالجَانِبِ العَمَلِي:

إنَّ الخِطَـابَ العربي هو خطـاب تنظيري أكثر مما هو عملي وتطبيقي، وهو خطاب نقدي أكثر مما هو خطاب إصلاحي، وهو خطاب فردي أكثر مما هو خطاب يعكس روح الفريق التكاملي.

إنَّ "مـن الانتقادات الموجهة للخطاب الحـداثي العربي المعاصر أنَّه خطـاب يعتمد القول بلا عمـل، والنقد بلا فعل مـرادف له على الأرض، فرفَع من شـأن العقل وأحط من شأن العمل، فالحداثة في نسختها العربية أكثرت من النقد والكلام، ولكنها لم تقدم مشروعًا عمليًّا، ولم تسـاهم في بناء حضارة أو إنتاج حِرف وإقامة صناعات"[1].

فهـي حداثـةٌ تعيش أزمةً، ألا وهـي أزمة المثقف المنفـك عن واقعه، وأزمة الداعية الذي يعيش في عالم الأحلام.

---

١ - الحارث فخري عيسى عبد الله: الحداثة وموقفها من السنة النبوية، ص٥٣.

٤ـ الخِطَابُ الإقصَائيّ:

إنَّ من سمات الخطاب الحداثي العربي أنَّه خطاب إقصائي بكل معنى الكلمة، والأدلة على إقصائيته كثيرة جدًا، فـ"إنَّ هذا الفكر الحداثي فكر إقصائي، رفض الآخر الإسلامي بقدر ما أعلن أنَّه يفتح الأبواب، ونظر إليه نظرة دونية وباحتقار بقدر ما أعلن عن المساواة، فكان تطبيقه للمبادئ النظرية مناقضًا تمامًا لمنطوقها"[١].

وهذه الحركة تنتقد لمجرد النقد، ولا تضع الحلول، ولا تنظر بواقعية للحياة، بل تعيش حالةً من البعد عن الواقع بشكلٍ مفرط، أدت إلى إقصاء كلّ آخر، وبالخصوص الآخر (الإسلامي/ الشيعي الإمامي).

يقول الأستاذ (منير شفيق): «الواقع العَيَاني الذي عرفته مجتمعات الحداثة التي هي أكثر تنكرًا للآخرين حتى لو قرر القانون أو الدستور مبدأ المساواة، فالاحتقار والتشويه اللذان يتعرض لهما آخرون كثيرون تتجاوز أشكال التهميش، ليدخل في نطاق التمييز الذي تقوم به العنصرية والإلغائية، أو الإقصائية»[٢].

فإنَّ هذه العنصرية والإلغائية والإقصائية والتغييب من ميزات الخطاب الحداثي العربي، وبالخصوص مع الآخر المتمثل بالشيعة الإمامية، إذ قد تعاملوا معهم ومع نصوصهم بطريقة إقصائية مفرطة جدًا.

---

١ - الحارث فخري عيسى عبد الله: الحداثة وموقفها من السنة النبوية، ص٥٥.
٢ - منير شفيق: في الحداثة والخطاب الحداثي، ص٦٢.

٥ـ ذُو فِكرٍ انتقَائِيّ:

إنَّ من سِـمَاتِ الخِطاب الحداثي العربي هو كونه انتقائيًّا، يعيش حالةً من الاختيار المصلحي، وبرجوازية متشددة، ودوغمائية مصلحية.

إنَّ الخطـاب الحـداثي العربي يمارس الانتقائية بشـكل غير علمي، وهي انتقائية سلبية بكل معنى الكلمة، بعيدة كل البعد عن أي مرجحات أو مسوغات لهـا. فـإنَّ ممارسـته للانتقائية يأتي من أجل أخـذ المفيد له ومـا يدعم أقواله ويخدم مصالحه، تلك الانتقائية البعيدة كل البعد عن أسـس العلم والمعرفة، إذ مع الانتقائية لن يكون هناك أي موضوعية، ولن يكون هناك أيُّ أمانة علمية، ولا يمكن أن يسود -والحال هذا- إلا الفكر المؤدلج بالنزعة الانتقائية.

٦ـ ذُو فِكرٍ عُدوَانِيّ:

إنَّ جملـةً من المثقفـين النقديين والحداثيين العـرب يتجاوزون حالة النقـد حتى يصلـون إلى حالـة العدوانية، ويظهر ذلك مـن خلال الإكثار من ممارسـة الذَّم والتشـنيع، والاعتـداء والتجريح، في تَقَصُّـد إلى إيذاء "المخاطَب" في مشاعره الشخصية أو القومية أو الدينية[1].

وإنَّ مـن مظاهـر العـدوان الواضحـة هو اتهامـه للآخريـن ولتراثهم ولنصوصهم بشتى التُّهم المختلفة.

---

١ - راجـع: عبد الإله بلقزيز: نهاية الداعية: الممكن والممتنع في أدوار المثقفين، ص٤٣.

الفَصْلُ الثَّانِي

مَوَارِدُ الاستِمْدَادِ الحَدَاثِيّ

إنَّ موارد الاستمداد هي: التي يُستمد منها المَعين للإعانة والديمومة، وقد أشار الشيخ (محمد الطاهر بن عاشور) (ت١٣٩٣هـ) إلى ذلك بقوله: «استمداد العلم يراد به توقفه على معلومات سابق وجودها على وجود ذلك العلم عند مُدونيه، لتكون عونًا لهم على إتقان ذلك العلم، وسُمي ذلك في الاصطلاح بالاستمداد عن تشبيه احتياج العلم لتلك المعلومات بطلب المدد، والمدد؛ العون والغوث فقرنوا الفعل بحرفيّ الطلب وهما؛ السين والتاء، وليس كل ما يُذكر في العلم معدودًا من مدده، بل مدده ما يتوقف عليه تَقَوُّمُه»[1]. فالاستمداد من «المدد» أي التعزيز والإضافة، وهو العون المقدم والمضاف في حال الطلب، أو في حال الحاجة والضرورة. نعم، يُراد بالاستمداد العلمي لعلمٍ معينَّ هو؛ توقفه على معارف يسبق وجودها وجوده، حتى تكون عونًا ومعينًا في إتقان تدوين وتكوين ذلك العلم، وفي تَقَوُّمه واستقامته، وفي تحقيقه الفائدة المرادة منه.

إنَّ القرآن الكريم قد تلقى على طول تاريخه العديد من الانتقادات والطعونات حتى من داخل المنظومة الإسلامية، فضلاً عن خارجها، ويُسمى أعداء الداخل بتسمياتٍ عديدة منها: المنافقون، المنحرفون، الزنادقة، الغلاة، الخوارج، الماركسيون، العلمانيون، الحداثيون، وما شاكل ذلك.

---

١ - محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج١، ص١٨.

يـرى الباحث بأنَّه قـد كان لأعداء الخـارج والداخل موارد اسـتمداد متعددة في نقدهم للنص القرآني، يجمعها جامع مشترك هو: الطعن بالقرآن الكريم، وتشـويهه وإزاحته نهائيًّا، ولقد كتبـت الكتابات الكثيرة في ذلك، كما وقد تم الرد على هذه الكتابات والشـبهات من قبل الكتاب المسلمين المنصفين والمؤمنين بحقيقة القرآن الكريم.

إنَّ مـوارد الاسـتمداد مقسـمةٌ إلى ثلاثة أقسـام هي: موارد اسـتمداد خارجيّ، وموارد اسـتمداد داخلي، وموارد استمداد مشترك، وذلك ضمن مطالب اختصت بذلك.

المَبْحَثُ الأَوَّلُ:
مَوَارِدُ الاِستِمْدَادِ الخَارِجِيّ

إنَّ البحث عن مذاهب وموارد وجذور ومرجعيات الاستمداد الحداثيّ يحتـاج إلى معرفـةٍ وتتبـع تاريخي خاص، وذلـك لبيـان وتوضيح موارد الاستمداد بدقة.

ثُـمَّ إنَّ المُـرَادَ بِمَـوَارِدِ الاسـتمداد الخارجي هـو: كل عوامل وجذور الاستمداد من خارج نطاق الوطن العربي، وذلك باعتبار أنَّ هذا الكيان هو الحاضن الأول للإسلام ولعاصمة الإسلام الأولى "المدينة المنورة"، علمًا أنَّ هنـاك كيانات لم تكن ضمن هذا النطـاق، إلاَّ أنَّها دخلت ضمنه، ذلك

أنَّ البحث يريد التركيز على مصادر الاستمداد للحداثة العربية من منتصف ونهايات القرن التاسع عشر الميلادي، وحتى القرن الحادي والعشرون.

كما وقد يُراد بموارد الاستمداد الخارجي هي العوامل التي أثَّرت على تشكل فكر الحداثة من خارج الكيان العربي "الوطن العربي".

ثُمَّ إنَّ التركيز في التعريف على "الوطن العربي"؛ لأنَّ البحث يتناول الحداثة العربية والحداثيين العرب والمؤثرات في بناء فكر الحداثة عندهم. فإنَّ من أهم موارد وجذور الاستمداد الخارجي هي:

أَوَّلًا: مَرجعيَّةُ اليُونَان وَأَسَاطِيرُ الرُّومَان:

١ـ المَرجِعيَّةُ اليُونَانِيَّةُ:

إنَّ من أهم موارد الاستمداد الخارجي هي "المرجعية اليونانية"، وذلك في أكثر من دعوى عند دعاة الحداثة العالمية عمومًا، والحداثة العربية خصوصًا؛ بأنَّ مرجعيتهم المعرفية هي المرجعية اليونانية، بأنَّها هي التي يستمدون منها معارفهم وآراءهم ونظرياتهم.

فحقيقةً أو ادّعاءً كان للمرجعية اليونانية دور مهم على تكوُّن الحداثة، فـ"إذا كانت الصفة الغالبة للحداثة هي المزج وعدم التمييز بين الرفض والقبول، والحياة والموت، والرجل والمرأة...، عندئذٍ لم تأت الحداثة بما هو جديد إلا قليلاً، فإنَّ فكرة التوفيق بين الأضداد قديمة قِدم (هيروقليدس)، يذكر (هوسرل) أنَّ فكرة التوفيق بين الأضداد جاءت من

فلسفة (نيقولا القوصي)، ومن (جيوردانو برونو) وقد ذُكر هذا المفهوم بطرق مختلفةٍ في القرن التاسع عشر"[١].

إنَّ المرجعية اليونانية ـ من نظريات وآراء ـ تُعد من أهم موارد الاستمداد الخارجية للحداثة عمومًا، وللحداثة العربية بشكلٍ خاص.

٢ـ أَسَاطِيرُ الرُّومَان:

إنَّ من الأفكار التي نبعت من التراث الروماني، أو التراث «اليوناني / الروماني) وامتدت في كل أوروبا هي «الأساطير»، فشكَّلت فيما بعد مرجعيةٍ مهمة من مرجعيات الحداثة[٢].

إذ قد شكَّلت الأساطير أساسًا مهمًّا، وطرحًا معرفيًّا عندهم، حتى عدُّوه بأنَّه حقيقي وواقعي!

ويمكن أن ندرك السبب الذي من أجله أصبحت الأساطير وصناعتها -وهي أداة ثقافية دائمة ومتغيرة- موضوعًا متميزًا في التَّحليل البِنيوي الحداثي، وذلك لأنَّ أساطير الآثار الكلاسيكية قد احتَّلت دورًا في الثقافة الغربية على الأقل، وهو مماثل للدور الذي احتلت الأحماض النووية فيه علم الوراثة في القرن العشرين[٣].

---

١ - مالكوم برادبيري وجيمس ماكفارلين: الحداثة، ج١، ص٨٦.

٢ - راجع: عدنان علي النحوي: تقويم نظرية الحداثة ومواقف الأدب الإسلامي منها، ص.ص١٤٨ـ١٥٠.

٣ - راجع: عدنان علي النحوي: تقويم نظرية الحداثة ومواقف الأدب الإسلامي منها، ص١٤٩.

أي تحولت من خيال إلى واقع، بل إلى أساس يُبنى عليه الفكر عمومًا، والفكر الحداثي بشكلٍ خاص.

لقد كان لأساطير الرومان دورٌ مهمٌّ؛ في كونِها أحد أهم موارد الاستمداد الخارجي للحداثةِ عمومًا، وللحداثة العربية بشكلٍ خاص، بل إنَّ الأساطير أصبحت حقائقَ عند الحداثيين العرب، وهذا ما يدعو للتساؤل حول جِدية مثل هكذا طرح عند من يدعي العلم والمعرفة والتطور.

ثَانيًا: النَّظَرِيَّاتُ النَّقْدِيَّةُ:

إنَّ الاتجاه النقدي الذي خطَّه الفيلسوف الألماني (كانط) في كتابه "نقد العقل الخالص"، الذي جمع فيه بين رأي "العقليين" و"التجريبيين" في مصدر المعرفة، والذي قد أحدث ثورةً في نظرية المعرفة شبَّهها الباحثون بالثورة الكوبرنيكية في الفلك[1]. هذا الاتجاه النقدي شكَّل الأساس الذي انطلقت منه الحداثة العالمية، وشكَّل أهمَّ أُسس الحداثة من جانب، وأهم مَعِين تستمد الحداثة منه آراءها ونظرياتها.

فالفكر الحداثي النقدي يدعو إلى نبذ كل ما هو قديم، بل إلى نفي وجود شيءٍ يُسمى تراثًا وفق شعار «القطيعة».

فإنَّ النزعة النقدية تُعد من أهم موارد الاستمداد للحداثة العالمية

---

١ - راجع: زكي نجيب محمود: نظرية المعرفة، ص٧٤. وأيضًا: حسن مجيد العبيدي: ومن الآخر إلى الذات، ص١٩.

عمومًا، وللحداثة العربية خصوصًا، فهي تشكّل أساسًا مهمًّا تقوم عليه أفكار الحداثة، فليس لنقدها غايات علمية أو معرفية أو آراء مقنعة، بل هي تنتقد كل شيء ولا تؤمن بمقدَّسٍ ولا بكتابٍ سماوي ولا بحديثٍ قدسي ولا بسنة نبوية ولا بعصمة معصوم.

لقد شكَّل عنصر النقد الحداثيّ أساسًا عند دعاة الحداثة في الوطن العربي، ولقد أفرطوا في استخدامها.

ثَالثًا: نَظَرِيَّاتُ الاستشرَاقِ وَأُطرُوحَاتُ المُستَشرِقِين:

لا يمكن إنكار الأثر الاستشراقي في تكوين وبناء الحداثة العربية، بل قد يكاد يكون أهم موارد الاستمداد المباشرة من حيث الأثر والتبعية من جانب، والطرح والأسلوب من جانبٍ آخر.

يقول (عبد الإله بلقزيز): «لسنا نبالغ حين نقول إنَّ الجيلين الثاني والثالث من النهضويين تلامذةٌ للمستشرقين؛ من طريق القراءة والاطلاع ابتداءً، ثم من طريق التعلم المباشر تاليًا. إنَّ بصمات (أرنست رينان) واضحةً في كتابات (فرح أنطون)، كما هي واضحة بصمات (غولدتسيهر Goldziher)، و(مرغليوث Margoliouth)، و(دوغويه de Goeje)، في كتابات (جرجي زيدان): من الجيل النهضوي الثاني. أمَّا الجيل النهضوي الثالث؛ جيل (طه حسين، وأحمد أمين، ومحمد حسين هيكل، والشيخ مصطفى عبد الرازق)، وتلامذتهم من أمثال (عبد الرحمن بدوي، ومحمد

عبد الهادي أبو ريدة)، فقد درسوا على المستشرقين مباشرةً: في فرنسا وفي الجامعة المصرية التي كانت تعج بهم في فترة ما بين الحربين"[١].

لقد كان للمستشرقين قراءةٌ خاصةٌ للتراث، شكلت منهجًا خاصًا بهم، وتطور إلى مدرسة أو مدارس استشراقية لها خصوصياتها في القراءة والتحقيق والنقد.

فإنَّ المراد بالقراءة الاستشراقية، هو ما استخدمه المستشرقون في قراءتهم للتراث العربي عمومًا، وللقرآن الكريم بشكلٍ خاص، إذ كانت لهم أُسسهم وسماتهم الخاصة في قراءة النصوص.

جدير بالذكر أنَّ اهتمامات العديد من المستشرقين كانت منذ البداية فيلولوجية انصبَّتْ على تحقيق النصوص المتعلقة بعلوم القرآن، فخدموا بذلك جانبًا من ثقافتنا العربية والإسلامية إذ أخرجوها من بطون المخطوطات التي استولوا على أكثرها بمساعدة الاستعمار وغيره.

لقد اهتم المستشرقون بتأسيس المدارس ذات الطابع التنصيري، والمدارس الحديثة التي أُسست على مفاهيم غربية؛ حيثُ وَضعوا لها المناهج الخاصة وزودوها بأساتذةٍ ذوي مهمة خاصة، ليربوا عليها النشء فإنَّ إنشاء هذه المدارس كانت مهمة ذات اتجاهين: «تنصيري» و«استشراقي»؛ ذلك أنَّ التنصير مُغذي لروح الاستشراق.

---

١ - عبد الإله بلقزيز: نقد التراث، ص٢٨.

إنَّ القراءة الاستشراقية قد مرَّت بتحولات وتغيرات متعددة، فـ«عندما رأى المستشرقون ضرورة التحول واعتماد أساليب القراءة الحداثية من الدراسات الإنسانية والاجتماعية، تحول معهم كثير من الحداثيين في عالمنا العربي، وصاروا يستعملون هذه القراءات في تعاملهم مع القرآن الكريم»[١].

فإنَّ (الجابري) -على سبيل المثال- قد اعتبر خطاب المستشرقين قطعيًا وكافيًا في الحكم على الشيعة، وعلى التراث، بل وعلى التاريخ[٢].

يقول (حسين الإدريسي): «إنَّ قراءة الجابري بالنسبة إلى الموضوعات الدينية، إنَّما هي قراءة استشراقية، تقوم على قراءة المعطيات من الخارج، وليس من الداخل، إلى الحد الذي يبلغ به إلى رؤية حتى الدعوة الإسلامية من الخارج أيضاً»[٣].

إذن فإنَّ القراءة الاستشراقية عمومًا، والقراءة الاستشراقية للقرآن الكريم خصوصًا هي -عند المستشرق- ما يستخدم بها كل شيء حديث من آليات وقوانين ونظريات، وهي تخضع عنده لهذه الآليات إذ لا تقديس للنص، بل هو نص كباقي النصوص خاضع للنقد وقابل للتفكيك، وهذه القراءة

---

١ - عبد العزيز بن سعد الشهري: التناص: القرآن في دراسات الحداثة العربية والاستشراق، ص١٣.

٢ - راجع: محمد عابد الجابري: دراسة النظريات ونقدها، ص٢٨٣.

٣ - حسين الإدريسي: محمد عابد الجابري ومشروع نقد العقل العربي، ص١٦٥.

هي من أهم موارد الاستمداد الخارجي عند الحداثيين العرب.

نعم، يمكن للبحث ان نقف عند ثلاثة مستشرقين كان لهم الأثر الكبير على اطروحات الحداثيين العرب وهم:

١ـ تيودور نولدكه (١٨٣٦-١٩٣٠م).

٢ـ إجانتس جولدتسيهر (١٨٥٠-١٩٢١م).

٣ـ لويس ماسينيون (١٨٨٣-١٩٦٢م).

إنَّ هـؤلاء الثلاثة هم الأكـثر تأثيراً، لكنَّهم ليسـوا الوحيدين في التأثير على بناء الخطاب الحداثي العربي، بل هم الأشهر في ذلك.

رَابِعًا: أُطرُوحَاتُ مُفكِرِي أُورُوبا وَالغَربِ:

لقد كان لكتابات كُتاب ومفكري أوربا والغرب الأثر الكبير على أفكار الحداثيـين العـرب، خصوصًـا ما لاقته هـذه الكتابات من انبهـار بها من جانب، وسرقة كثير منها وتحويله إلى اللغة العربية من جانب آخر.

فلقد شكلت أُطروحات مفكري أوروبا والعالم الغربي -وبالخصوص- بعـد نهايـة الحرب العالميـة الثانية موردَ اسـتمداد مهمًّا جـداً للحداثيين العـرب، ومـن ذلك الأفكار التـي نادى بها مفكـرو أوروبـا كالتجريدية، والتجريبية والتحرر والوجودية والجدلية وما شـاكل ذلك، فشـكلت معينًا مهـمًا للحداثيـين العرب عند من قرأها منهم أو عاصرها أو من سـافر إلى أوروبـا والغرب وتأثَّر والتقى بأولئك النفر، وبالخصوص مفكري فرنسـا،

إذ كان لهم أثرٌ سلبيٌّ جدًا على الإنسانية، وعلى الإسلام، وعلى القرآن الكريم.

فمثلاً، يؤكد (طه عبد الرحمن) تأثُّر الجابري بـ(جان بياجيه ولالاند وغاستون باشلار وهيجل وماركس)[١]، كما ويؤكد ذلك (علي حرب) وبأنَّ كل أطروحات (الجابري) في نقد العقل العربي هي مأخوذة من مفكري أوروبا[٢]، كما وأكد (الزواوي بغورة) تأثر الجابري بـ(ميشيل فوكو)[٣]، وكذلك ما أكده (إدريس هاني) في كتاباته.

خَامسًا: أُطرُوحَاتُ الاستعْمَار عُمُومًا والاستعْمَار الثَّقَافي خُصُوصًا:

يُعد الاستعمار الثقافي من أخطر الأشياء التي تهدد المجتمعات، وبالخصوص طبقة الشباب منها، فبعد أن أدرك أعداء الإسلام أنَّ مواجهته بالقوة العسكرية، وأساليب القمع والإرهاب لن تحقق مآربهم في التخلص منه وفي الحد من انتشاره، وإنَّ غزو بلاد الإسلام كثير التكاليف، لذا فقد توجهوا إلى استعماره وغزوه ثقافيًّا وفكريًّا، وعقليًّا.

إنَّ المقصود بالاستعمار الثقافي: «الوسائل غير العسكرية التي اتخذها

---

١ - راجع: طه عبد الرحمن: تجديد المنهج في تقويم التراث، ص٣٤.

٢ - راجع: مداخلات: مباحث نقدية حول أعمال محمد عابد الجابري ـ حسين مروة ـ هشام جعيط ـ عبد السلام بن عبد العالي ـ سعيد بن سعيد، ص٧.

٣ - الزواوي بغورة: ميشيل فوكو في الفكر العربي، ص٤٧.

أعداء الإسلام لإزالة مظاهر الحياة الإسلامية، وصرف المسلمين عن التمسك بالإسلام مما يتعلق بالعقيدة، وما يتصل بها من أفكار وأنماط وسلوك»[١].

ويطلق على الاستعمار الثقافي مسميات أخرى منها: «الحرب الناعمة» و«الاختراق الثقافي»، وما شاكل ذلك من أسماء ومسميات ذات دلالات واحدة.

يرى الباحث بأنَّ من أهداف الاستعمار الثقافي، ما يمكن إجماله ببعض الأهداف، والتي منها:

١ـ القضاء على الإسلام وتمزيق المسلمين وعزلهم عن دينهم، وتراثهم، وثقافتهم.

٢ـ منع الإسلام من الانتشار خارج ديار المسلمين.

٣ـ نشر الادعاءات الباطلة حول القرآن الكريم، والشريعة الإسلامية، وشخصية النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

٤ـ تحميل الإسلام جميع مظاهر الضعف والتخلف، التي تعيشها البلاد الإسلامية من جانب، ومن جانب آخر ربط التطور وبكل مظاهره بالغرب فقط.

٥ـ إثارة الصراعات الطائفية، والمذهبية الداخلية لشغل البعض بالبعض

---

١ - محمد قطب: واقعنا المعاصر، ص١٩٥.

الآخـر، وتهويل هذه الصراعات إعلاميًّـا، وذلك لإبعاد النظر عما تخططه الدوائر الاستعمارية.

في الواقع، إنَّ الاستعمار الثقافي نجح وينجح يومًا بعد يوم في صراعه، وهو يوسـع من دائرة الأتباع، والمتأثرين، واللاهثين وراءه بشـكل واضح وملحـوظ، وقد اخـترق هذا العدو الكثير من الحصـون والقلاع التي كان من المفـروض أن تصمد أمامه، وبات يهدد الأسـس والثوابت عن طريق المتأثرين بـه والمروجين لنظرياته وآرائه، ومن أبـرز هؤلاء هم الحداثيون العرب.

المَبْحَثُ الثَّانِي: مَوارِدُ الاِستِمدادِ الدَّاخِلِيّ

إنَّ المُـراد بمـوارد الاسـتمداد الداخلي هـي: تلك المـوارد التي أخذ الحداثيـون العرب منهـا أفكارهم؛ والتـي تكون داخل الكيـان "العربي/ الإسلامي" قديمًا وحديثًا.

إنَّ هناك الكثير من موارد الاستمداد من داخل الكيان العربي والمنظومة العربيـة، ذلك أنَّ عوامل البناء من جانب، وعوامـل الهدم من جانبٍ آخر موجـودة في الكيـان الواحد والفكـرة الواحدة. لذلك فإنَّ مـن أهم موارد الاستمداد الداخلي هي:

أَوَّلًا: أُطرُوحَاتُ وَشُبُهَاتُ المُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الكِتَابِ:

يـرى الباحث بأنَّه قد كان لأُطروحات وشـبهات المشركين من جانبٍ، وشبهات أهل الكتاب من جانبٍ آخر الأثر في استمداد الكثير من الشبهات الداخلية، خصوصًا ما أثاره المشركون من شبهات على النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى القرآن الكريم وعلى قضايا الإسلام المهمة كالعبادة والعدل والمساواة والزواج والإرث والحرب والعلم، وغير ذلك.

فلقد كان لشبهات أهل الكتاب أثرها في ذلك، علمًا أنَّ قِسمًا كبيراً من شـبهات المشركـين كانت قد أُخذت من أهل الكتـاب، إذ كان لهم الدور الكبير في شبهات المشركين.

إنَّ شـبهات المشركين الأولى كانت شبهات بسبب تضرر مصالحهم، وبقيت هذه الشـبهات تعاد بصِيَغ وطرح جديد عند الكثير من المعارضين والمعادين للإسلام وللقرآن الكريم.

لقد اسـتفاد منها الحداثيون العرب، فأخذوا يطرحونها مرة أخرى على أنَّها شبهات حديثة وجديدة ومعاصرة.

ثَانِيًّا: مَدَارِسُ الوَضْعِ الحَدِيثِيّ:

يـرى الباحثُ بأنَّ مدارس الوضع الحديثي التي ظهرت – تحديداً- بعد نهايـة حكم أمير المؤمنين عـلي بن أبي طالب عليه السـلام والذي انتهى باستشـهاده، قد شـكلت -هذه المدارس- أهم موارد للاسـتمداد لمن أراد

الطعن بالإسلام وبالقرآن الكريم.

لقد كان لهذه المدارس أثرها في إثارة الكثير من الشبهات على طول التاريخ، وشكلت هذه المدارس المَعين الذي استمد منه أعداء الإسلام أولًا، والمستشرقون ثانيًا والحداثيون ثالثًا، في طعنهم بالإسلام وبالقرآن الكريم.

إنَّ مدارس الوضع الحديثي قد شكَّلت معينًا كبيراً جدًا لكل من أراد الطعن بالإسلام، بل هي تهمة من التُّهم الأساسية لضرب كل الأحاديث بحجة الوضع والتصنيع، إذ تم الترويج لذلك من أجل سلب القداسة والاحترام عن الأحاديث، أو نفي الاستشهاد بها كونها -وبحسب المدعى- موضوعة، أو تلوح عليها تهمة الوضع، وبالتالي كانت هذه التهمة من التهم التي استغلها كل من أراد ضرب التراث الإسلامي عمومًا، والتراث الحديثي خصوصًا.

ثَالِثًا: أُطرُوحَاتُ الفِرَقِ المُنْحَرِفَة:

يرى الباحث بأنَّ أُطروحات وإشكالات وشبهات الفرق المنحرفة قد شكَّلت مَعينًا مهمًّا ومورداً كبيراً للاستمداد، وذلك عند كل من كان معاديًا للإسلام وللقرآن الكريم، وقد استفاد من هذه الشبهات كل من جاء ليعادي الإسلام، فما كان منه إلا ليذهب إلى كتب التاريخ ويفتح تلك الكتب ليتعرف على الفرق المنحرفة، ومن ثم يعرف كتبهم وآراءهم، وما عليه -بعد

ذلك- إلا أن يقتني تلك الكتب ليجد فيها الكثير من الشبهات والإشكالات حول الإسلام والقرآن الكريم.

إنَّ من تلك الفرق على -سبيل المثال لا الحصر- المرجئة والجبرية والواقفية والخوارج وما شاكل ذلك من باقي الفرق المنحرفة.

فلقد كانت تلك الفرق تشكل بآرائها المَعين لكل من أراد الطعن بالإسلام وبالقرآن الكريم، ولقد استفاد من تلك الشبهات والآراء كلٌ من المستشرقين والحداثيين على حدٍ سواء، وبالخصوص الحداثيين العرب، إذ كانت موجودة في كتب ومخطوطات مكتوبة باللغة العربية، فسهلت عليهم صياغتها بصياغات جديدة، ومن ثمَّ طرحها مرة أخرى على أنَّها شبهات جديدة ضد الإسلام وضد القرآن الكريم.

إنَّ أُطروحات الفرق المنحرفة شكلت موردَ استمداد مهمًّا لمن يريد البحث عن إشكالات وشبهات ضد الإسلام، فلن يجد أفضل من هذه الفرق المنحرفة ليتبنى آراءها الشاذة، ويعيد صياغتها في كل مرة على أنها إشكالات كبيرة على الإسلام لا يمكن حلها.

رَابِعًا: مَقَالَاتُ وَأُطرُوحَاتُ الصُّوفِيَّة:

إنَّ مقالات وأطروحات الصوفية كانت تُشكّل مَعينًا للكثير ممن يريد الطعن بالإسلام، أو القول بتجديد المقولات، أو قلب الكلام وتحريفه.

ولقد وجد الحداثيون العرب في الصوفية والتصوف غايتهم، ومورد

استمدادهم سواء قبلوا بالتصوف أو رفضوه، أو ادَّعوا رفضهم له.

يقول (الحارث فخري عيسى): «من أبرز ما وجده الحداثيون في الفكر الصوفي مما يوافق هواهم، هو قول الصوفية بالرمزية والإشارية، وتعامل بعض الصوفيةِ مع اللُّغة والكون على أنَّها منظومة من الرموز تشير إلى ما خلفها من معانٍ، مما أطلق العنان واسعًا للتأويل، وفهم ما يشاء دون وجود رابط منطقي بالضرورة بين منطوق الخطاب وبين ما فهمه الصوفي منه، وهذا ما يتوافق مع منهج الهرمنيوطيقيا الغربي في تأويل النصوص، وما تفرع عنه من نظرياتٍ لاحقةٍ عليه، فاستشهد بهم الحداثيون كثيراً من أمثال (أبي زيد) و(أركون) وغيرهما»[1].

لذلك كتب الحداثيون العرب عن الرمزية والتصوف وعن ابن عربي، وعن التأويلية بمرادها الصوفي، وما شاكل ذلك.

كما ويقول (نصر حامد أبو زيد): «والذي لا شك فيه أنَّ التصوف يمُثل -بجانبيه العملي والنظري- موقفًا من الحياة يتسم بالتعالي والازدراء والتَّرفع، ولاشك أنَّ هذا الموقف ذاته لا ينفصل عن إطار الواقع الذي يدفع إلى رد فعل، فيسعى الصوفي للبحث عن حلول متعالية لمشكلات هي في حقيقتها واقعية، إنَّ الصوفي يحاول أن يتجاوز إطار الواقع الحسي العَياني المباشر بكل تناقضاته وصراعاته وهمومه سعيًا إلى المطلق الثابت

١ - الحارث فخري عيسى عبد الله: الحداثة وموقفها من السنة النبوية، ص١٠٧.

الخالد يتجاوز إطار الصراع والقلق والتوتر»[١].

إنَّ (نـصر حامد أبو زيد) ومن خلال مقولاته المتقدمة، يريد التأسـيس لـ»تصوف فلسفي»، هو خليط ما بين التصوف والحداثة.

كـما ويمكن أن نلاحظ وبـكل وضوح، موقف محمـد عابد الجابري المتناقض والانتقائي في مسألة الصوفية.

فهـو وفي طرحٍ أوَّلي له ينتقد التصوف والهِرمسـية، ويضعهم في خانة واحدة من خانات نقده[٢].

إلاَّ أنَّه وبعد ذلك وتحت مسمى «نظام البيان» يُعبِّد النظر في التصوف، فيتبنى موقفًـا جديدًا منه، ويحاول «الترتيش» لإعطاء مشروعية له، فيضعه ضمـن مصطلح جديد هو «التصوف السُّـني»[٣]، وما ذلك إلاَّ دليل وجود الحس الطائفي، وأثر الخلفية الطائفية على أطروحات (الجابري).

يقول الأستاذ (قاسم شعيب) تلخيصا لما تقدم، ولكون التصوف موردًا مهمًّا مـن موارد الاسـتمداد الحـداثي: «إنَّ جوهر الحداثـة رؤى صوفية انعكسـت في كتابات أهم فلاسفة الغرب مثل: (سبينوزا وهيغل وكيركغارد ونيتشه وهيدغر)»[٤].

---

١ - نصر حامد أبو زيد: فلسفة التأويل، ص٣٣.

٢ - راجع: محمد عابد الجابري: تكوين العقل العربي، ص٢٧٥.

٣ - راجع: محمد عابد الجابري: تكوين العقل العربي، ص٢٧٥.

٤ - قاسم شعيب: النبي والصوفي: المفارقات الوجودية وانقلاب المعنى، ص٤.

المَبْحَثُ الثَّالِثُ:
مَوَارِدُ الاِسْتِمْدَادِ المُشْتَرَكِ

إنَّ المراد بموارد الاستمداد المشتركة هي التي: يراد بها ما شملت جزءًا داخليًّا وآخر خارجيًّا، أو هي داخلية كَوَّنتها مؤثرات خارجية، أو هي خارجية ساعدت عليها وطورتها مؤثرات داخلية، أو مؤثر داخلي له مرجعية خارجية، أو مؤثر خارجي له امتداد داخلي.

إنَّ من أهم موارد الاستمداد المشترك هي:

أَوَّلًا: الإِسْرَائِيلِيَّاتُ:

فلقد شكلت الإسرائيليات مصدرًا مهمًّا من مصادر الاستمداد عند المستشرقين والحداثيين على حدٍ سواء.

وبهذا الصدد يقول الشيخ (محمد هادي معرفة) في تعريفه للإسرائيليات: "هي قصة أو أسطورة تُروى عن مصدر 'إسرائيلي'، سواءٌ أكان عن كتاب أو شخص تنتهي إليه سلسلة إسناد القصة"[1].

فإنَّ هذا التعريف هو من أشهر التعاريف عند المختصين بالإسرائيليات من حيثُ البيان والتوضيح والتحديد.

---

١ - محمد هادي معرفة: التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ج٢، ص٧٩.

إنَّ العـرب كانوا ومنـذ أوَّل أيامهم يزعمون أنَّ أهل الكتاب، ولاسـيَّما اليهـود القاطنين بـين أظهرهم، أهل ديـن وثقافة ومعرفة بشـؤون الحياة، ومن ثمَّ كانوا يراجعونهم فيما تتوق إليه نفوسـهم في معرفة شؤون الخليقة وتواريخ الأمم السـالفة والأنبياء، فبعد ظهور الإسـلام حثّ القرآن الكريم العرب على سـؤال أهـل الذكر، أو أهل الكتاب حـول العلامات الخاصة بنبوّة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

ولقـد ظنَّ بعض المسـلمين الأوائل، أنَّ ذلك تجويـز لهم في مراجعة اليهود، وسؤالهم عن بعض شؤون الشريعة ومعارفها.

إنَّ لفـظ الإسرائيليـات وإن كان بظاهـره يدل على القصص وأسـاطير التـي تُروى أصلاً عـن مصادر يهوديـة، إلاَّ أنَّ علماء التفسـير والحديث يطلقونه على ما هو أوسع وأشمل من ذلك، إذ إنَّه عندهم يشمل ما ورد في التفسير والحديث والتاريخ من أساطير وقصص قديمة منسوبة إلى اليهود والنصارى أو غيرهما، وشملت عند البعض كل ما لا أصل له، وكل ما هو من صنع أعداء الإسلام ليفسدوا بها عقائدَ المسلمين[1].

فكانـت الإسرائيليات هي أشـهر الأبواب التي دخلت منها الشـبهات على الإسـلام وعلى القرآن الكريم، ولازال هذا الباب مفتوحًا أمام كل من يريد الطعن بالإسلام، وبالقرآن الكريم، وبالسنة النبوية المباركة.

---

١ - راجع: محمد علي الرضائي: منطق تفسير القرآن، ص٣٨٦.

ثَانيًا: أطرُوحَاتُ الزَنَادِقَة:

إنَّ المرادَ بالزنديق أو الزنديق في تاريخ الفرس القديم هو ساحر قبيح المذهب، سيء المعتقد، سيء الصنع، منبوذ، وغير محبوب[١].

يقول الدكتور (جرجس داود): «إن لفظة الزندقة فيما يبدو من أصل فارسي، وإنها عُربت مع ألفاظ فارسيَّةٍ كثيرةٍ دخلت اللغة العربية من خلال المزج السكاني، وإنَّها لم يكن يقصد بها إلا طوائف الثنوية جميعًا من مانوية وديصانية ومرقونية ومزدُكية»[٢].

لقد كان للزنادقة دورٌ كبيرٌ في تشكيك الناس بعقائدهم، وفي الدخول داخل المنظومة الإسلامية لوضع الأحاديث، وما حادثة (عبد الكريم بن أبي العوجاء) إلا دليلٌ على دور الزنادقة التخريبي للإسلام عمومًا، ولأصول التشريع خصوصًا، وللتراث الحديثي بشكلٍ أخص.

لقد عمد أشخاص من الزنادقة إلى وضع الأحاديث كما فعل (عبد الكريم بن أبي العوجاء)[٣]، وكان منهم مَن عمله الوضع في الشعر كـ(حماد الراوية) و(صالح بن عبد القدوس)[٤]، وهناك من كان يضع مثالب للعرب

---

١ - راجع: لويس شيخو اليسوعي: الزنادقة، ص٦٨١.

٢ - جرجس داود: الزندقة والزنادقة: في الأدب العربي والجاهلية وحتى القرن الثالث الهجري، ص٤٦.

٣ - راجع: أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج١، ص١٥٠.

٤ - راجع: أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج١، ص١٥١.

كـ(يونـس بن أبي فروة)[١]، وهنـاك من عُرف بالزندقة ظاهـرًا أو باطنًا من أمثال (بشار بن برد) و(حماد عجرد)[٢]، وكذلك (إبراهيم بن سيابة)[٣].

كما وأنَّ هناك شـخصيات قد اشـتهرت عبر التاريخ بالزندقة من أمثال (ابن المقفع)[٤]، و(ابن الراوندي)[٥]، وكذلك البرامكة[٦].

لقد كان للزنادقة عدة أهداف منها[٧]:

١ـ تقويض دعائم الإسلام من خلال النقد والتشكيك والتشويه.

٢ـ محاربة الإسلام بشتى الوسائل داخليًّا.

٣ـ إحياء النظم الفارسية والعقائد المجوسية والنزعة القومية.

٤ـ نشر آراء ماني ومُزدك وزرادشت.

٥ـ نشر الإباحية والمجون والشذوذ.

---

١ - راجع: السيد المرتضى: أمالي المرتضى، ج١، ص٩٠.

٢ - راجع: أبو الفرج الأصبهاني: الأغاني، ج١٣، ص.ص ٧٤ـ٧٦.

٣ - راجع: أبو الفرج الأصبهاني: الأغاني، ج، ص٧.

٤ - راجع: السيد المرتضى: أمالي المرتضى، ج ١، ص١٣٤.

٥ - راجع: فاروق عمر: التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين، ص١٣١.

٦ - المسعودي: المعارف، ص٣٨٢.

٧ - راجع: جرجس داود: الزندقة والزنادقة، ص٨٨..

الفَصْلُ الثَّالِثُ

النَّصُّ الإِمَامِيّ فِيْ مِيزَانِ الحَدَاثِيِّينَ العَرَبِ

المَبْحَثُ الأَوَّلُ:
تَقْسِيمَاتُ النَّصّ الإِمَامِيّ

إنَّ كلامنا في هذا المطلب سيكون حول تقسيمات النص الإمامي عمومًا، وما يتعلق بأساس الأُطروحة ألا وهو تعامل الحداثيين العرب معه.

مُلَاحَظَتَان مُهِمَّتَان:

الأُولَى: إنَّ كلامنا عن النص الإمامي وما يتعلق به لا يعني أنَّ الإمامية يختلفون عن عامَّة المسلمين بخصوص النصوص الشرعية، بل إنَّ الأساس واحدٌ، لكنَّ ولأنَّ الكلام عن النص الإمامي بالخصوص، لذا سيتكلم البحث عنه وعن كونه جزءًا مهمًّا من المنظومة الإسلامية.

الثَّانِيَة: تركيز البحث سيكون على النص الإمامي، وذلك حتى يتبين مدى تعامل الحداثيين العرب، ونسبة وكيفية وطبيعة وجوده وحضوره عندهم، وطرق التعامل معه.

هاتان الملاحظتان مهمتان جدًا في تحديد مسار البحث عن النص الإمامي، وتعامل الحداثيين العرب معه سلبًا أو إيجابًا، مع بيان كيفية وطبيعة وطرق التعامل معه، مع الاستشهاد على ذلك بنصوص من

كتاباتهم، ومن أُطروحاتهم، ومن ومشاريعهم النقدية الحداثية.

يرى البحث بأنَّ النَّص الإمامي يُقسَّـم من حيث التنوع والتعدد، أو من حيث التراث الإمامي إلى قسمين مهمَّين هما:

أَوَّلًا: النَّصُّ المَعْصُومُ:

وهو الأخص، فإنَّ هذا النص يشـمل القـرآن الكريم والحديث النبوي الشريـف عند عموم المسـلمين وكذلك يشـمل روايات أئمـة أهل البيت عليهم السلام عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية ـ فأئمة أهل البيت عليهم السـلام هم عِدل القرآن الكريـم بنص آيات قرآنية وبنـص حديث الثقلين وأحاديث نبوية أخرى.

ملاحظتـان مهمتان جـدًا؛ من أجل الدخول في بيان تقسـيمات النص الإمامي، إذ مع الأخذ بها ومراعاتها، حينها يمكن بيان التقسيم، بل سيُفهم السر وراء هذا التقسيم، وبهذا الشكل الذي طرحناه.

لـذا فإنَّ النص المعصوم، ومن خلال هذه الدراسـة فإنَّه يشـمل -كما أسلف البحث- على ما يلي:

أ ـ نَصُّ القُرآنِ الكَرِيمِ:

ويُقصد به القرآن الكريم، والمتحدث به الذي ثبت من عند الله -تعالى- أنه ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**﴾ [النجم: ٣-٤]. وهو الرسـول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسـلم، وما ثبت له ما قد ثبت

للرسـول ما عدا المختصات[١].

إنَّ القـرآن الكريم هو أصدق مرجع، وأصح مصدر يُرجع إليه في تقنين القوانين واسـتخراج الأصول وذلك لأنَّ اللغة العربية لم تشهد كتابًا أُحيط بالعنايـة واكتُنف بالرعاية منذ زمن مبكر، فحوفـظ على تراكيبه وأُحصيت كلماته وحروفه وكيفية ترتيله بلهجاته مع إتقان متناهٍ في التلقين ودقة بالغة في الأخـذ والأداء مثل القرآن الكريم[٢]. والشـواهد على ذلك كثيرة، منها وأهمهـا: بقاؤه المصـدر الأول والمقدم على غيره في التشريع وفي ترتيب المصادر، فهو الأساس والمقياس وهو المرجع.

ثُمَّ إن القرآن الكريم قطعي الصدور، يتسـم بأنَّـه معجزٌ، فهو كلام الله -سـبحانه وتعـالى- الـذي لا يأتيه الباطل مـن بين يديه ولا مـن خلفه، له خصائص كثيرة متعددة أهمها أنَّه معصوم؛ لأنَّه كلام الله سبحانه وتعالى.

قـال الإمـام الصادق عليـه السـلام: «كل شيء مـردود إلى كتاب الله والسنة، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف»[٣].

إنَّ القـرآن الكريم هو: كتاب سـماوي تشريعي، وضـع قوانينَ متعددةً لأتباعـه، إذ قـد أوجـب عليهـم العمل به وبهـا، وهو مقسـم إلى كليات أساسية هي؛ الكليات الأخلاقية والكليات العقائدية والكليات التشريعية،

---

١ - راجع: الشيخ حسين كوراني: في المنهج المعصوم والنص، ص١٦٥.
٢ - راجع: مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة ونهجها في دراسة اللغة والنحو، ص٥١.
٣ - الكليني: الكافي، ج١، ص٦٩. (باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب، ح٣)

ولكل قسم من هذه الكليات آيات خاصة بها، وهو كتابٌ خاص بالديانة الإسلامية من حيث التشريع، وعام لكل البشر من حيث الطرح الأخلاقي والبناء الإنساني.

ب ـ نَصُّ النَّبِيّ وَالإِمَام عَلَيهُمَا السَّلَام:

أي نص الشخص المعصوم، وهو النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ومن بعده الإمام المعصوم عليه السلام.

إنَّ نص المعصوم -إسلاميًا- لا يشمل إلا ما نص عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في وقت التبليغ أو التشريع فقط، أمَّا عند الشيعة الإمامية فهو أوسع دائرة مما هو عليه في مدارس أبناء العامة.

ونص المعصوم هو ما يسمى بالسُّنة، والتي قد عرفها الشيخ (عبد الله المامقاني) (ت١٣٥١هـ) بأنَّها: «قول من لا يجوز عليه الكذب والخطأ، وفعله وتقريره، غير قرآن ولا عادي، وما يحكي أحد الثلاثة يسمى: خبراً، وحديثًا»[١].

فإنَّ المرادَ بها هنا هي ما صدر عن الرسول صلى الله عليه وآله من قول أو فعل أو تقرير فقالوا: ثبت هذا الحكم بالسُّنة لا بالكتاب. وعليه فإنَّ السُّنة عند الأصوليين دليل من أدلة الأحكام، وعند الفقهاء حكم شرعي يثبت للفعل بالدليل[٢].

---

١ - عبد الله المامقاني: مِقباس الهداية في علم الدراية، ج١، ص٥٩.

٢ - راجع: حسن الربيعي: المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، ص٤٠.

لذلـك فإنَّ نصَّ المعصوم يشـمل: حديث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وحديث الأئمة الاثني عشر المعصومين عليهم السلام.

سمَاتُ النَّص المَعْصُومِ فيْ الفِكْرِ الإِمَامِيّ:

إنَّ للنص المعصوم في الفكر الإِمَامِي جملة من السمات البارزة، هي:

١ـ لا يُفهم ولا يُفسر تفسيراً صحيحًا إلا من قِبل المعصوم:

فـإنَّ الفارق ما بين النصـوص القطعية، وبين ما حفلـت به كل حقول المعرفة البشرية، هو نفسه الفارق ما بين الحقيقة وبين محاولات الوصول إليها ولربما الابتعاد عنها.

٢ـ فيه حقائق وكنوز لا يكتشفها إلا المعصوم:

فـإنَّ فيه حقائق وكنوز وغَيب، ومختصـات لا يمكن للبشر العادي أن يفهمهـا، وإن كانـت متاحة الفهـم فطريقها المعصوم عليه السـلام فقط، وذلك بما قاله وبالطريقة التي أوردها، ذلك أنها تعليم إلهي.

٣ـ هدفه تحقيق الكمال الإنساني:

فإنَّ النص المعصوم هدفه كمال الإنسان، وليس نقصه أو إنقاص قيمته، فهدفه هو تعليم الإنسـان وليس تجهيله أو وصفه بالجهل، وهدفه تقويمه وليس نقده، وهدفه نجاته وليس هلاكه، وهدفه تقدمه وليس تراجعه.

٤ـ له حقائق وتجليات لا تُكشف بسهولة:

إنَّ البشرية تحتاج إلى أزمان وأزمان لتسير في طريق فهم النص المعصوم، ذلك أنَّ له تجليات وحقائق لن تبرز إلا بعد مدد من الزمن، فضلاً عن أنَّ له

انطباقات تحاكي الزمان والمكان، وحقائق لا تكشفها إلا العلوم المتطورة، والدليل أنَّه وكلما تقدم الزمان توضحت حقائق أكثر وأكثر.

نصوصه التفسيرية لتلك الوقائع والحوادث والحقائق من أجل تفسيرها وبيانها، أو إلى القواعد المؤسسة لطرق الفهم الصحيح.

ثَانيًا: النَّصُّ غَيْرُ المَعْصُومِ:

يرى الباحث بأنَّه يراد به مطلق باقي النصوص في مدرسة الشيعة الإمامية الاثني عشرية، وعلى جميع مستويات العلم، والكتابة والتأليف، فالعالم مهما بلغ من مراتب العلم والاحترام، لكنَّه لن يكون معصومًا، ونصه ليس بالنص المعصوم.

إنَّ المراد بالنص غير المعصوم هو النص البشري القائم على فهم متلقيه للقرآن الكريم، وللسنة النبوية المباركة، ولأحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام.

فإنَّ النص غير المعصوم يشمل: القيم، الآداب، الصناعات، المنجزات، التفسيرات، الشروح، وكل ما ورثناه من أسلافنا، وكل ما جُمع تحت مصطلح «تراث»، فهو أعم من النص المعصوم، وأفراده متكثرة ومتعددة، وهو أكثر من حيث العدد، وهو من وقع فيه الخلط، إذ قد خلط البعض ما بينه وبين النص المعصوم، أو ساوى البعض ما بينه وبين النص المعصوم.

إنَّ النص غير المعصوم له أقسام، ومن المهم معرفتها، أو معرفة أشهرها، فهذا النص يشمل:

أ ـ نُصُوصُ العُلَمَاءِ:

وهـي تدخـل ضمن المـوارد الإبداعية مـن جانـب، والاجتهادية من جانب آخر، إذ قد حاول علماء الإماميَّة ومنذ نزول القرآن الكريم، وتلقيهم لأحاديـث النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسـلم، وأحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام إلى وضع أُسس وقواعد لفهم هذه النصوص، مع ملاحظة أنَّ هناك اتفاقًا في مسألة السعي إلى وضع القواعد، لكن لابدَّ من الإشارة إلى وقوع الاختلاف في كيفية التلقي والتفسير والإيصال.

علمًا بأنَّه ما من كلام أو تفسـير أو تأويل لأي آية قرآنية من قبل العلماء والمفسرين الشّيعة، إلاَّ وله مرجعية روائية، لأحد الروايات الواردة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسـلم، أو لأحد أئمة أهل بيت العصمة عليهم السـلام، فيعمل العـالم والمفسر والكلامـي على مواءمتهـا مع الخطوط الأساسية لدلالتها، حتى لا تخرج عن أساسها[1].

ب ـ نُصُوصُ الأُدَبَاءِ:

وهـي النصوص الأدبيَّة عمومًا، أو النصـوص الفكرية، أو التي تدخل ضمن المدار الثقافي بحسب فهمه الحديث، وهذه النصوص قد تُفسَّر من قِبل متلقيها بحسبهم، وبحسب ما لديهم من علم.

وهـو لا يدخل في الاجتهاد كما في «نصوص العلـماء»، بل هو تلقي أكثر تسـاهلاً، وتفسيره متماهيًا ومتماشـيًا مع الواقع المعاش، وإيصاله هو بحسب

---

١ - راجع: ستار جبر الأعرجي: مناهج المتكلمين في فهم النص القرآني، ص١٧٣.

المـراد أو المطلوب[1]. ويُطلـق على النصوص العامة التـي توصل معلومات معينة -عامة- بنصوص الأدباء، فالأديب هو من يمتلك معلوماتٍ شتى من علوم شتى، يكتب عنها لإيصالها إلى المجتمع، الهدف من ذلك هو نقد أو تقويم أو تثقيف، ولا تخلو من نصوص المدَّعين لذلك، أي ممن يدَّعي بأنه من الأدباء.

جـ ـ نُصُوصٌ عَامَّة «تُرَاثِيَّة»:

وهي إمَّـا معروفة المؤلف، أو مجهولة المؤلـف، وهي كثيرةٌ جدًا، قد تكـون لأُنـاس منحرفـين أو لفرق منحرفـة، أو تكون لمدَّعي الإسـلام أو لمدَّعي التشيُّع، وقد تكون كتب منسوبة بينما هي بعيدة كل البعد عن واقع ما نُسـبت له، ككتاب «دبستان مذاهب» على سبيل المثال، وما شاكله من كتـب وكتابات أخرى. كذلك يشـمل كِتابات الفـرق المغالية، والكِتابات الأُسـطورية (الغنوصيـة)، والكتابـات الاجتماعيـة، والقصص الشـعبية، والفلكلور والميثولوجيا وما شاكل ذلك.

وَقفتَان مُهمَّتان: لابد هنا من وقفتين مهمتين، هما:

الوَقفَةُ الأُولَى:

إنَّ تعامل الحداثيين العرب مع النصّ الإمامي كان على نحوين، الأول: هو مـن حيث تمثلاته القرآنية والحديثية، والثاني: هو التعامل مع نصوص العلـماء ونصوص الأدباء والنصوص التراثية العامة. والملاحظ عليهم هو

١ - محمد زكي العشماوي: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، ص٣٧.

دمجهم المتعمَّد لكيفيات التعامل، أو التَّعمية المتعمَّدة، أو التمويه؛ لأجل عدم التمييز، في سبيل إبراز الأخطاء، أو تسجيل أكبر عدد منها.

الوَقفَة الثَّانِيَة:

جاء الحداثيون العرب بكل الأقوال الشاذة والمنحرفة والمُحرفة فنسبوها إلى النصّ الإمامي الأصلي والأساسي، أو جمعوا كل ما هو شاذ ومنحرف وصدَّرُوه لبلدانهم ومجتمعاتهم، على أنَّه هو هذا النصُّ الإمامي.

إنَّ هذا ما لا بدَّ من توضيحه، حتى يعرف ما هو مدار البحث، وكيف انتقد الحداثيون العرب النصَّ الإمامي، ولماذا انتقدوه، وأسباب ذلك وأين وقع الخلل وما هو التخطيط الأيديولوجي وراء ذلك وما هي التهم التي وجهوها له؟

لذلك فإنَّ القارئ سيجد دافعًا أيديولوجيًّا واضحًا قد دفع الحداثيين العرب لاتهام النصّ الإمامي، ولتوجيه التهم المختلفة له، بل إرادة إبعاده ومحوه بكل وسيلة ممكنة، والأدلة والشواهد على ذلك كثيرةٌ جدًا.

◂ المَبحَثُ الثَّاني:
طُرُقُ تَعَامُلِ الحَدَاثِيِينَ العَرَبِ مَعَ النَص الإمَامِي

إنَّ هناك طُرقاً للتعامل مع النص الإمامي من قِبل الحداثيين العرب، ومن هذه الطرق:

١ـ الإقصَاءُ:

إنَّ طريقة الإقصاء كانت من أول وأهم طرق التعامل مع النصّ الإمامي من قبل الحداثيين العرب.

فنجد بأنَّ محاولات (محمد الجابري) -على سبيل المثال- بالإقصاء لا تقف عند حدٍ معين، بل قد واصلت سعيها وجهادها الحثيث لطرد الشّيعة من دائرة الإسلام[١].

فإنَّ من أشهر الحداثيين العرب الذين تعاملوا بمنطق الإقصاء مع الإمامية هو (محمد عابد الجابري)، ذلك أنَّه قد وضع مشروعه بالأساس، أو ضمن أساسيَّاته، هو نقد الفكر الشيعي الإمامي، وانتقاد النصّ الإمامي، ذلك أن مشروعه برز في فترة الحرب العراقية الإيرانية، ومع أجندة محاربة الوجود الشيعي الإيراني، وإظهاره على أنَّه خطر يهدد الشرق الأوسط، أو يهدد الوطن العربي.

كما ونجد الإقصاء واضحًا جدًا -كذلك- عند (عبد المجيد الشرفي) عندما يصف الشّيعة بـ»الملالي»[٢]، أو يصف تراثهم بغير المثالي[٣]، أو يصفهم بالمتمردين[٤].

---

١ - راجع: إدريس هاني: كفى ثقافة طائفية ومثقفون طائفيون، ص١٦.
٢ - راجع: عبد المجيد الشرفي، تحديث الفكر الإسلامي، ص٧.
٣ - راجع: عبد المجيد الشرفي، تحديث الفكر الإسلامي، ص٣١.
٤ - راجع: عبد المجيد الشرفي، تحديث الفكر الإسلامي، ص٨٢.

فإنَّ هذا الطرح الذي يطرحه (عبد المجيد الشرفي) -على سبيل المثال- نابعٌ عن حس طائفي كبير، يتجاوز العلم والمعرفة، وليس هو من الطرح الموضوعي بشيء ولا يمت إلى التطور والتقدم بصلة.

ثم إنَّ الأمثلة على الإقصاء كثيرة عند الحداثيين العرب في تعاملهم مع النص الإمامي، وسيكون للبحث وقفات أكثر حول ذلك، وذلك في الفصل الخاص بالتطبيقات الإجرائية لتعاملات الحداثيين العرب مع النص الإمامي.

إنَّ من طرق التعامل الحداثي الإقصائي مع النصّ الإمامي هو التهميش، والذي نجده قد مارسه جملة من الحداثيين العرب تجاه النص الإمامي.

يقول الأستاذ (محمود إسماعيل): «فالفكر الشّيعي ظل مهمشًا ومستبعدًا في منظور المفكرين السُّنة على الرغم من تراثه النضالي والفكري، وتبنيه قضية العدل الاجتماعي»[1].

نعم، إنَّ النصَّ الإمامي بقي مهمشًا في كثيرٍ من العلوم، ذلك أنَّ السلطة الحاكمة نفسها قد همشَت جميع النصوص الإمامية لغايات سياسية ودينية وفئوية، وقد مارست الحصار على النصوص الشيعيَّة الإماميَّة ومنعت تدوينها، وذلك ما قد استفيض الكلام عنه في كتب تاريخ التدوين عمومًا، وتدوين الحديث الشريف خصوصًا.

---

١ - محمود اسماعيل: الفكر الإسلامي الحديث بين السلفيين والمجددين، ص.ص١٧-١٨.

٢ـ القبُولُ المَصلَحِي وَالأَيديُولُوجِي:

إنَّ هـذا النـوع من القبـول هو إمَّا قبـول مصلحي، وإمـا قبول طائفي مؤدلج، وليس هو بالقبـول العلمي القائم على الأدلة العلمية أو المعرفية، أو عـلى الطرح الموضوعـي المعزَّز بالأدلـة الحقيقية، بل إن السفسـطة والمغالطة كانت من ميزاته.

يقول (فهمي هويدي): «إذا حدث التعارض بين النصوص وبين أي من مصالح الناس المعتبرة فلا مجـال لتطبيق الأولى، وتغلب المصلحة على النصّ في الثانية»[١].

إنَّ هذا هو دَيدن الحداثيين العرب في تعاملاتهم مع النصوص عمومًا، ومع النصّ الإمامي خصوصًا.

لذلـك نجد بـأنَّ (محمد عابـد الجابري) عدّ المصلحـة هي الحاكمة عـلى النص[٢]. عمومًا، أمَّا مع الوصول إلى النص الإمامي فيقينًا سـتكون المصلحة حاكمـة عند (محمد عابد الجابري)، وعند أمثاله من الحداثيين العرب، وبالخصوص عندما يكون القبول بالنص يصب في مصلحتهم.

فـإنَّ (محمـد عابد الجابري) -على سـبيل المثال- يأخذ بقول الشـيخ (النوري) بخصوص تحريف القرآن الكريم، ويدَّعي بأنَّ الشـيخ (النوري)

---

١ - فهمي هويدي: التدين المنقوص، ص١٧٦.

٢ - راجـع: محمد عابد الجابري: وجهة نظـر: نحو إعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر، ص٦٣.

مــن المعتدلين، وقد استشــهد بقوله ومدحه ووصفــه بالمعتدل ليثبت من خلال ذلك القول بتحريف القرآن الكريم عند الشّيعة(١) زورًا وبهتانًا.

نعــم، فإنَّ (محمد عابد الجابري) وفي مســألة تحريــف القرآن الكريم -ولأن هذا الأمر يصب في مصلحته- نجده يستشهد بقول الشيخ (النوري)، فيريد إثبات تحريــف القرآن الكريم، وأنَّ الشّــيعة يقولون بتحريف القرآن الكريم، وذلك قبولاً بنصٍّ واحدٍ لم يفهمه (الجابري) بالشــكل الصحيح، ليعممــه على كل الشّــيعة، ليعتــبر بأنَّ كل الشــيعة تقول بتحريــف القرآن الكريم.

مضافًــا إلى موارد أخرى كثيرة من موارد القبول، والتي كانت لأســباب مصلحية أو طائفية.

٣ـ الانتقائيَّة:

إنَّ الانتقائيــة (Eclecticism): مذهبٌ فكريٌّ لا يلتزم بأي إطار محدد، ولا بأمــور معينة من الأفكار، بل هو يُســتمد من نظريــات وأنماطٍ وأفكار مختلفــة، وذلك من أجل إعطاء نظرية تكاملية عن الموضوع(٢)، تتحكم بها النفعية والمصلحية.

إنَّ الانتقائية أو التعامل الانتقائي كان أحد الطرق التي اتبعها الحداثيون

---

١ - راجع: إدريس هاني: كفى ثقافة طائفية ومثقفون طائفيون، ص.ص٤٦ـ٤٧.

٢ - ينظر: موقع المعرفة، www.marefa.org

العرب مع النصوص عمومًا، ومع النصّ الإمامي خصوصًا.

فالحداثيون العرب مع لجوئهم لذلك، فـ«أنهم لجأوا إلى هذا الفكر يبحثون فيه ينتقون منه ما يوافق رغباتهم بعد تشكل وتكون مواقفهم، وعند وجود ما يخالفها في الفكر الشّيعي تجدهم يرفضون هذا الفكر ويناصبوه العداء، خاصة بعد الثورة الإسلامية في إيران وتوليها الحكم هناك، فكانوا من أشد المعارضين والنابذين لهذا الخطاب»[١].

فكانت انتقائية أيديولوجية بامتياز، بعيدة كل البعد عن أي طرح علمي، وبعيدة عن الموضوعية.

لذلك فإنَّ التعامل مع النصّ الإمامي من قِبل الحداثيين العرب كان على رأسه التعامل الانتقائي، ذلك أنَّ الانتقائية - في ذاتها- لا تلتزم بأي إطار، ولا بأيّ أساسيَّات، بل تتعامل وفق دافع نفعي ومصلحي بامتياز.

إنَّ الحداثيين العرب ينظرون في النصوص ثم ينتقون منها ما يوافق أهواءهم، وما يوافق أفكارهم ونظرياتهم، وهو منهج متبع عندهم[٢].

نعم، فإنَّ النفعية والمصلحية هي الحاكمة عندهم، أمَّا ادعاؤهم بالعلمية أو الموضوعية، فما هو إلا تنظيرٌ خالٍ من التطبيق، بل بعيد كل البعد عن الواقع، وما هو إلا كلامٌ لا يمت إلى الموجود في كتاباتهم بصلةٍ مطلقًا.

يقول الأستاذ إدريس هاني عن انتقائية (محمد عابد الجابري):

---

١ - الحارث فخري عيسى عبد الله: الحداثة وموقفها من السُّنة النبوية، ص٦٨.

٢ - راجع: ناصر بن عبد الكريم العقل: الاتجاهات العقلانية الحديثة، ص٢٣٥.

«الجابري الذي أَلِفَ إخفـاء الكثير من مصادره وبتر العديد من النصوص التي من شـأنها أن تكون شواهد ضد خطواته الانتقائية... لا تقف محاولة الجابـري عند هذا الحد، فقد واصلت سـعيها وجهادها لطرد الشّـيعة من دائرة الإسلام»[١].

إنَّهـا انتقائية تريد طرد الشـيعة «الإمامية» عن دائرة الإسـلام، في طرحٍ انتقـائي تكفـيري لا يتوانى عـن تكفير الآخريـن، وبالخصوص الشـيعة الإمامية، وذلك من قبـل الحداثيين العرب عمومًا، ومن قبل (محمد عابد الجابري) خصوصًا.

كما ويؤكد على انتقائية (الجابري) الأسـتاذ (عبـد الإله بلقزيز) بقوله: «إنَّ (الجابري) سـقط في نزعة الانتقاء والابتسـار، وهي نزعة أيديولوجية بامتياز يتعذر معها القيام بأي نوع من الاستنتاج والتعميم، نظير ذلك الذي سلكه في كتابه 'نقد العقل العربي'»[٢].

مضافًـا إلى عشرات الشـواهد التي تؤكد على انتقائيـة (الجابري)، بل إننا نجدها في أكثر من مـكان من كتاباته، انتقائية مقيتة وحاقدة، ومحاربة للوجود الشيعي الإمامي بكل صورهِ، تجعل منه لامعقولاً، وباطنيًّا وهرمسيًّا وغنوصيًّا وظلاميًّا، وما شاكل ذلك من انتقائية أيديولوجية جادت بها عقلية (الجابري) المعادية للشيعة والتشيع.

---

١ - إدريس هاني: كفى ثقافة طائفية ومثقفون طائفيون، ص١٦.

٢ - عبد الإله بلقزيز: نقد التراث، ص٣٥٨.

نعـم، فلقد كانت الانتقائية من ميزات منهـج محمد عابد الجابري في التعامل مع النصوص والتي تصل إلى حدّ التسفيه أو الغمز واللمز لها، أو التحريف المتعمَّد[١].

إنَّ هذا هو منهج (الجابري)، والذي أكد عليه كل نقاد فكره أو مشروعه، فهـم قد أجمعوا عـلى كونه يتعامل مـع الكل بحسٍ تكبري، ويسـفه كل نتاجات الآخرين، ويغمز ويلمز بهم، ويتهمهم باتهامات أساسـها تحريفه -هو- للنصوص، في سـبيل إثبات مدعياته الكاذبة في طرحٍ انتقائي واضحٍ جدًا.

وعن تكفير الشيعة من قِبل الحداثيين العرب يقول الأستاذ (علي حسن هذيلي): «إنَّ الخطاب السُّـني المعاصر، ممثلاً بـ(محمد عابد الجابري)، لا بـ(سـيد قطب أو حسـن البنا) وأمثالهما، هو خطـاب تكفيري بامتياز، ولكنـه تلبَّس هذه المرة لباسًـا فكرياً فلسـفياً، بعـد أن كان اللباس فقهيًّا فحسب»[٢].

إنَّ أساس التكفير هي العدوانية عند المتكلم تجاه المخاطب، أو وجود عقـدة تجاهه أو وجود تأثر من نوع معين أو بسـبب التأثر بالخلفية الدينية والطائفية السابقة، مع وجود الحسّ الانتقائي.

---

١ - راجع: أحمد محمد النمر: الفكر الإمامي في نقد الجابري، ص٢٠.

٢ - علي حسـن هذيلي: المثقف التكفيري؟ محمد عابد الجابري أُنموذجًا: قراءة في فكر الدكتور محمد عابد الجابري، ص٥٤.

إنَّ الحداثي الذي يمقت التكفير في أُطروحاته ويعده شيئًا لاحضاريًّا، نجده يمارس التكفير بطريقته الخاصة، أو التكفير بطريقة حداثية تجاه الآخرين، وذلك ما نجده عندهم في تكفيرهم للشّيعة الإماميَّة، وبالخصوص طرحهم المموَّه بالعبارات الناقدة المتضمنة لتكفير الإماميَّة، بهدف إخراجهم عن دائرة الإسلام.

٤ـ الاتّهَام:

إنَّ من طرق التعامل الحداثي مع النصّ الإمامي هو الاتهام، ذلك أن التهم التي وُجهت للنص الإمامي كثيرة جداً منها:

أ ـ تهمة الباطنية.

ب ـ تهمة الهرمسية.

جـ ـ تهمة اللامعقول.

إنَّ هذه هي أشهر التهم التي وُجهت للنصّ وللتراث الإمامي، إلَّا أنَّ هناك تهمًا أخرى كثيرة قد وجهها الحداثيون العرب للإمامية ولتراثهم تزخر بها كتب ومؤلفات دعاة الحداثة، ويمكن للقارئ والمتتبِع أن يجدها بسهولة.

إلَّا أنَّنا في هذا الكتاب سنقف عند التهم الثلاث المتقدمة، وبالخصوص عند الحداثيين العرب، وسنركز على (محمد عابد الجابري) كنَموذج للطَّرح الحداثي العربي المعادِي للتراث الإمامي.

المَبحَثُ الثَّالِثُ:
التُّهمُ المُوجَّهة للنَّص الإمامِي مِن قِبلِ الحَداثِيينَ العَربِ

في هـذا المبحث سـيكون من اللَّازم أشـهر التهم التي وجههـا الحداثيون العـرب إلى النـصّ الإمامي، مع توضيـحٍ لماهيَّة هذه التُّهـم وحقيقتها وبعض الأمثلـة عليهـا، حتى يكـون القارئ عـلى بيّنة من أمـره بخصوصهـا، مع ذكرٍ للمصادر الخاصة بذلك في الهامش، حتى يرجع إليها القارئ والمتتبِع، في حالٍ أراد التأكد من ذلك أو أراد التوسـع في البحث، فكل شيء موجود ومدون، بل إنَّ الحداثيين العرب قد اشتهروا باتهام الآخرين، وبالخصوص التراث الإمامي.

١ـ تُهمةُ البَاطنيَّة:

يُشـتق مصطلـح الباطنيَّـة الروحانيَّـة مـن كلمـة يونانية قديمـة تعني «الإخفـاء»، وإنَّ كلمـة (mistakes) تعنـي "بدء»، وفي العالم الهلنسـتي أشارت كلمة «باطني» إلى طقوس دينيةٍ سريةٍ.

لذلك يُقال إنَّ مصطلح باطني قد تمت صياغته في القرن السـابع عشر قبل الميلاد، ثم تطور وتفشى في جملة من الديانات السـماوية والوضعية بشـكل مختلف عن شـكله الأول[١]. وقِيل إنَّ ظهوره كان بسـبب تداعي

١ - راجع: حسين الشيخ: ديانات الأسرار والعبادات الغامضة في التاريخ، ص٥٥.

الإمبراطورية اليونانية وحلول الإمبراطورية الرومانية محلها.

ويُقال إنَّ مرجع الباطنية إلى الديانات الإيجية القديمة[١]، وقيل مرجعها إلى الديانة الأورفيَّة نسبة إلى (أورفيوس التراقي) أو الثراكي[٢].

وقيل كذلك إنَّ منشأ الحركات والديانات والفرق الباطنية هو بلاد أوروبا وذلك منذ فجر التاريخ، وهي خليط من عادات الشعوب الوثنيَّة والساميَّة والشرقيَّة، ثم اختلطت بالديانات السماويَّة[٣].

يؤكد الباحث (محمد أحمد الخطيب) على أنَّ «مؤرخي الفرق مختلفون في أصلها ومصدرها، فمنهم من يرجعها إلى المجوس، ومنهم من ينسبها إلى الصابئة بحران، إلا أنَّ هذا الاختلاف سرعان ما يزول عندما نعرف أن الأصول التي تعتمد عليها الباطنية بكل فرقها وطوائفها نابعة من الفلسفة اليونانية التي غذَّت بأفكارها الكثير من هذه الفرق»[٤].

إذن فإنَّ الباطنية قديمةٌ جدًا، وهي على أدق التقديرات تعود إلى تاريخ نشأة الفلسفة اليونانيَّة، وبالتالي هي ليست إسلامية، وليست شيعية أو إمامية، بل هي أقدم من ذلك، وهي موجودة في الفلسفات والأديان

---

١ - راجع: ويل ديورانت: قصة الحضارة، ج٦، ص٣٤١.

٢ - راجع: حسين الشيخ: ديانات الأسرار والعبادات الغامضة في التاريخ، ص٩٠.

٣ - راجع: فراس السواح: الأسطورة والمعنى: دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية، ص.ص ١٨٩ـ١٩٠.

٤ - محمد أحمد الخطيب، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي: عقائدها وحكم الإسلام فيها، ص٢٠.

الوضعية من القدم. إذن فما بين الفلسفة اليونانية والأفلاطونية والفيثاغورية والمذهب الإسكندري، نشأت أفكار الباطنية وتوسعت وانتشرت[١]. كما وأنَّ بعض جوانب التأويل أو التعبير التمثيلي الخاص بالباطنية، موجود في بعض المذاهب والفرق اليهودية والمسيحية.

فإنَّ الباطنيَّة -عندهم- مصطلح يطلق على الفئة التي تقول بأنَّ للنصوص الدينية معنيين؛ أحدهما ظاهري يفهمه عامة الناس بواسطة اللغة المعروفة، وثانيهما باطن لا يُدرَك ولا يُفهَم إلا للذين اختصهم الإله (الله تعالى) بهذه المعرفة الخاصة[٢].

إنَّ هذا الطرح قديم قِدم الإنسان، لا يختص بدينٍ دون آخر ولا بمذهبٍ دون غيره، بل هو موجود ومنتشر في الأديان جميعًا، الوضعية منها والسماوية.

نعم، يُقال إنَّ دعاة الباطنية هم: الذين تأوَّلوا الدين على الشرك، فقالوا بإلهين اثنين، وذلك على طريقة «المجوس»، والاثنان مدبران للعالم بتدبير الكواكب والطبائع[٣].

---

١ - راجع: ماجد فخري: تاريخ الفلسفة الإسلامية، ماجد فخري، ص.ص٧١ و٢٤. و عمر فروخ: تاريخ الفكر العربي، عمر فروخ، ص ١٥٢. و آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢، ص.ص١٩-٢٠.

٢ - راجع: عبد الكريم الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص١٩٢.

٣ - راجع: عبد المنعم الحفني: موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والحركات الإسلامية، ص١٣٢.

وذلك مـن الطرح الاتهامـي للباطنيَّة، أو الخـاص بالباطنيَّة المنحرفة خصوصًا، وإلاَّ فإنَّ طبيعة الأشـياء تقتضي وجودًا ظاهـرًا وباطنًا، وطبيعة الألفـاظ تقتضي وجودَ ظهـرٍ وبطن، وطبيعـة الكلام تلزم وجـودَ الظاهر والباطن.

أمَّـا في الكلام حـول الباطنيَّة المنحرفـة فلقد كانت عبـادات وطقوس الديانات أو المذاهب أو الفـرق الباطنية عبارة عن احتفالاتٍ سريةٍ تُقام في أماكن سرية، كذلك يتعبد بها المطلعون عليها والمسموح لهم بذلك فقط[1].

إنَّ هذا الطرح الخاص بالباطنية المنحرفة قد «أسـقطه» المدعون على خصومهم ليتهموهم بذلك، علمًا بأنَّ هناك فرقًا كبيرًا ما بين الباطنية العامة المعروفة والمشهورة والباطنية المنحرفة والفهم الباطني للنصوص والطرح الباطني في فهم الأشياء.

ثُمَّ إنَّ كلمة «باطن» ليسـت في أصلهـا محرَمة، بل نجدها موجودة في آيات قرآنية مباركة.

قَـالَ اللَّهُ جَلَّ وعَلاَ: ﴿**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [الحديد: ٣].

قَالَ اللَّهُ سُـبْحَانَهُ: ﴿**وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِـبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ**﴾ [الأنعام: ١٢٠].

١- راجع: قصة الحضارة، ويل ديورانت: ٦: ٣٤١.

قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٩]

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وعَلَا: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [لقمان: ٢٠]

قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الفتح: ٢٤]

إنَّ الكلام عن الباطنية -عمومًا- يقتضي الكلام عن جملة من الأمور الخاص بها، والتي منها:

أ ـ البَاطِنيَّة فيْ الأَديَان:

إنَّ الباطنيَّة منتشرة في جميع الأديان، وهي على حدٍ سواء موجودة في الأديان الوضعية والسماوية، لذلك سيركز البحث على وجودها في الأديان السماوية.

أَوَّلًا: البَاطِنيَّة اليَهُوديَّة:

إنَّ الباطنيَّة اليهوديَّة هي المرتبطة بمقولة وجود باطن خاص للأشياء

لا يعرفه إلا المختصون، أو رجال الدين، أو جماعة خاصة لها -هي فقط- حق معرفة الباطن.

لذلك يقال إنَّ مَنشأ الباطنية اليهودية هو «الثيوصوفية»، وهي مركبة من كلمتين معناهما (الحكمة الإلهية)، والتي استُعملت منذ ألفٍ وستمائةٍ سنة، وذلك للدلالة على معتقد «أهل الفلسفة» وهم الذين يقولون: إنَّ في الإنسان جوهرًا روحيًّا من الجوهر الإلهي المُنبث في الكون.

علمًا بأنَّ مَنشأ الباطنية اليهودية هو «الكبالا»[1] القائلة بأنَّ الكون لا يحكمه إله واحد، بل عدة آلهةٍ، متنوعةٍ ومتعددة[2].

إنَّ هذا التعدد والتنوع في الآلهة موجود في «الكبالا» وموجود أيضًا في كتاب «التلمود».

فلقد وصلت جرأتهم على الذات الإلهية في «التلمود» إلى التصريح بتفضيل علمائهم وحاخاماتهم على كل شيء، إذ يقولون في «التلمود»: «تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله، وقد وقع يومًا الاختلاف بين الله وبين علماء اليهود في مسألةٍ، وبعد أن طال الجدال تَقرر إحالة فصل الخلاف إلى أحد الحاخامات الربانيين، واضطر الله أن

---

١ - الكبالا: وتعني الصوفية اليهودية، وهي التي نشأت كردة فعل على اليهودية التلمودية. راجع: إسرائيل شاحاك: الديانة اليهودية وتاريخ اليهود، ص٥٠.

٢ - راجع: إسرائيل شاحاك: الديانة اليهودية وتاريخ اليهود، ص.ص٦٥-٦٦

يعترف بغلطه بعد حُكم الحاخام المذكور»[١].

إنَّ ذلك غلوٌّ باطني واضحٌ جدًا، وأنَّ أساسه هم اليهود، أو رجال الدين اليهود، والذين أسَّسوا للكثير من النزعات التمردية على الدين، ومنها الباطنية اليهودية المنحرفة.

نعم، فإنَّ من أشهر الباطنيين أو الغُنوصيين اليهود هو (فيلون اليهودي) الذي يعد من أكبر ممثلي النزعة الباطنية التأويلية الغُنوصية في تاريخ اليهود[٢].

كما وأنَّ هناك شخصيات يهوديةً أخرى عُرفت بالباطنية أو دعت إلى الباطنيَّة، وأُسست على ذلك الكثير من النظريات والقوانين.

ثَانيًا: البَاطنيَّة المَسيحيَّة:

أمَّا المسيحية الباطنية فهي المرتبطة بالمتون «الهرمسية» وذلك منذ عصر النهضة، والتي تقول: «إنَّ مجموعةً من اللاهوت المسيحي والتعاليم الروحية المسيحية لا يمكن أن يفهمها إلَّا أولئك الذين خضعوا لطقوس معينة مثل المعمودية ضمن الدين»[٣].

فإنَّ الباطنيَّة المسيحيَّة قد جُعلت مختصة بصنف رجال الدين، أي

١ - محمد عبد الله الشرقاوي: الكنز المرصود في فضائح التلمود، ص١٧٢..
٢ - راجع: عبد الرحمن بدوي: مذاهب الإسلاميين،ج٢، ص.ص١١-١٢.
٣ - حسين الشيخ: ديانات الأسرار والعبادات الغامضة في التاريخ، ص٥٤.

صنف خـاص يعرفون الباطن، وهـم المختصون بمعرفـة التعاليم الدينيَّة الحقيقيَّة التي وراء الظاهر.

لقـد انتقلـت الباطنية مـن اليهوديَّة إلى المسـيحيَّة عن طريـق (فيلون اليهودي) إلى (أوريجانوس) الذي تأثر بأستاذيه (فيلون) و(أفلوطين)[١].

كما ولقد تطورت النزعة الباطنيَّة في المسـيحيَّة لتتبنى الاعتقاد بوجود أسرارٍ إلهيـةٍ، وذلـك في أواخر القـرن الثاني الميلادي على يـد (رتليان)، والـذي يُعـد الأب للفكر اللاهـوتي الغربي، كونه من صـاغ مصطلحات الكنيسـة الغربية المتداولة، ومن تلك المصطلحات: «السر» و«الثالوث» و«لجوهر، وغيرها[٢].

إنَّ التطـرق إلى الباطنيَّة المسـيحيَّة يقودنا إلى الـكلام عن «الغنوصية المسـيحية»، فإنَّ كلمة «الغنوصية» مأخـوذة من الإغريقية، وتعني العرفان أو المعرفة الباطنية، وهي فلسفة صوفية بمعارف غيبية، والتي لها تأويلات وطقوس خاصة، فـ«الغنوصية» اسـم علم يدل على (المذاهب الباطنية)، والتي غايتها -بحسب المدعى- معرفة الأشياء بالحدْس لا بالعقل، ومعرفة الله بالوجدان لا بالاستدلال[٣].

إنَّ الغُنوصية لا تقتصر على المسيحيَّة فقط، بل تشمل الديانات الشرقية

---

١ - راجع: عبدالرحمن بدوي: مذاهب الإسلاميين، ج٢، ص١٣.
٢ - راجع: القس حنا الخضري: تاريخ الفكر المسيحي، ج١، ص٥٢٨.
٣ - راجع: عبد المنعم الحفني: موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ج٢، ص٧٢.

القديمة واليهودية، ذلك أنَّها تشتمل على طقوس عبادية معينة، مما يدخلها -عمومًا- في مفهوم الدين[١].

لذلك قيل إنَّ «الغُنوصية موضوعها الأسرار الإلهية التي لا يَقدر الجميع أن يعرفوها، بل فئة مميزةٌ تتنشأُ شيئًا فشيئًا بحيث تصل إلى الكمال تجاه البسطاء الذين لا يرتفعون فوق القشور. مثل هذا التيار أو بالأحرى هذه التيارات الدينية نجدها منتشرة في الزمان والمكان، كانت بذورها قبل المسيح، وتوزعت في سورية كما في مصر وربما في أفريقيا الشمالية، فاستقت منها اليهوديَّة والمسيحيَّة أيضًا أرادت أن تُمسحِنها ولاسيَّما مع (كليمان الإسكندراني) في القرن الثالث المسيحي»[٢].

إذن فإنَّ الباطنيَّة أو الباطنيَّة المسيحيَّة مشهورة جدًا، وقد تكلمت عنها الكثير من الكتب والمصادر المسيحية، منها التي تكلمت عن تاريخ الكنيسة وتاريخ نشأة اللاهوت المسيحي، وكذلك الكتب التي تكلمت عن الطقوس المسيحية.

إذن فالباطنيَّة قديمةٌ، ومن اليقين أنَّها أقدم من المسيحية كذلك، لكن لو أردنا أن نركز على تاريخ قريبٍ فمن الممكن أن نقول بأنَّ هناك باطنيَّة مسيحيَّة، وهذه الباطنيَّة لها أُسس خاصة قد ذكرتها الكتب المختصة، إذن فإنَّ الباطنيَّة ليست مختصة بالإسلام فقط، وليست مختصةً بالشّيعة فقط،

١ - راجع: القس جون لوريمر: تاريخ الكنيسة: عصر الآباء، ج١، ص١٠٣.
٢ - الخوري بولس الفغالي: الحركة الغُنوصية في أفكارها ووثائقها، ص٥.

وليســت هي بتهمة تُرمى بها الشيعة أو الشـيعة الإمامية فقط، بل إنَّ هناك الكثـير من الفرق الباطنية المنحرفة موجودة عـلى مر التاريخ، وفي جميع الأديان.

نعــم، لقد ابتُـلي الدين الإســلامي عمومًا، والمذهب الشـيعي الإمامي خصوصًـا بالباطنيــة كذلك، وهــذا لا يعني أنَّ الباطنيةَ معـترف بها في هذه الديانات أو في هذه الفرق والمذاهب، بل إنَّها منبوذةٌ وغير مقبولةٍ، أمَّا قضية العلم الباطني فهو شيء آخر، وقضية وجود باطن أو معنى داخليٍ للكلمات فهو شيء آخر كذلك، ولا يمكن الخلط به مثل ما وقع الحداثيون في الخلط ما بين باطن الكلمات «المعاني»، وما بين قضية الباطنية أو الفرق الباطنية.

ثَالثًا: البَاطِنيَّة الإِسلَاميَّة:

إنَّ «الباطنية» تسميةٌ تُطلق على الفِرق التي تستبطن معتقدها ولا تظهره إلا في ما بينها، وهذه التسـميَّة -عمومًا وإسلاميًّا- شاع إطلاقها على الفرقة الإسماعيلية، ثم اتسع الاسـتخدام ليشمل كل من ينكر المعنى الظاهري، ويؤكد على المعنى الباطني فقط[1].

كما وتُعد مــن الفرق القائلة بالباطنية: الجماعــات الصوفية والقرامطة والخرمية والدروز.

---

١ - راجع: عبد الرحمن بدوي: مذاهب الإسلاميين، ص٧٥١.

إنَّ الإسماعيلية تُعد من الفرق الباطنية التي استقت أفكارها من الغُنوصية[١]، فهي الفرقة الشيعيَّة الباطنيَّة، أو المعروفة بالباطنيَّة، وبسببها قد وُصف جميع الشيعة بالباطنيَّة، حتى طالت هذه التهمة الشّيعة الإمامية الاثني عشرية، وطالت النصوص الإمامية.

إنَّ وصف الشّيعة جميعًا بالباطنيَّة قد جاء بسبب الخلط ما بين مسألة «الظاهر والباطن»، ومسألة «الباطنيَّة»، علمًا بأنَّ مسألة «الظاهر والباطن» شيء، والفرقة الباطنية شيء آخر، وهذا ما يحتاج إلى التنبيه والتنويه عليه.

ب ـ الشّيعَةُ وَتُهمَة البَاطِنيَّة:

إنَّ من أشهر التُّهم التي وجهت إلى الشّيعة عمومًا، والشّيعة الإماميَّة خصوصًا من قِبل أعدائهم عمومًا، ومن قِبل الحداثيين العرب خصوصا، هي تهمة الباطنيَّة.

فنجد (محمد عابد الجابري) -على سبيل المثال- يتهم الشيعة بالباطنية والغُنوصية[٢]، وذلك في أكثر من مكان من مشروعه وكتاباته ومقالاته ولقاءاته الصحفية.

---

١ - راجع: محمد أحمد الخطيب: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، ص٤٤.

٢ - راجع: محمد عابد الجابري : فهم القرآن الحكيم: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، ص.ص.١٩٠ و ٢١٣ـ٢١٤. ومحمد عابد الجابري: بنية العقل العربي، ص.ص ٢٧٢ و٢٧٦ـ٢٧٧.

فقد يكاد يكون (محمد عابد الجابري) من أشهر الحداثيين العرب كَيلاً للتهم على الشيعة الإمامية، وعلى النصّ الإمامي، وهي تهم كثيرة ومتعددة، ومنها تهمة الباطنيَّة.

كذلك نجد هذه التهمة موجودة عند (محمد أركون) في جملة من كتاباته[١]، ومقالاته، ولقاءاته الصحفية والتي يتهم بها الشيعة الإمامية.

فإنَّ التأثر بكتابات كُتاب الملل والنحل من جانبٍ، وكتابات المستشرقين من جانب آخر، قد أثَّرت على (محمد أركون) وغيره، ليحذوا حذوهم في اتهام الشيعة الإماميَّة والنصّ الإمامي بالباطنية.

كذلك نجد الكاتب الحداثي المصري (نصر حامد أبو زيد) في جملةٍ من كتاباته ومؤلفاته[٢]. يتهم الشيعة الإماميَّة والنصّ الإمامي بالباطنيَّة.

كذلك نجد الكاتب السوري (طيب تيزيني) يتهم الشيعة الإماميَّة بالباطنيَّة في جملة من كتاباته وأُطروحاته[٣].

إنَّ من أسباب لجوء الحداثيين العرب إلى «الشّيعة» لاتهامهم بالباطنية، هو وجود ما يخدمهم في التراث الشّيعي، ألاَ وهو «التأويل الباطني»

---

١ - راجع: محمد أركون: الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ص.ص.١٥٧ـ١٥٩. محمد أركون: قراءات في القرآن، محمد أركون، ص.ص. ١٠٤ـ١٠٥ و٤٩٤ـ٤٩٥.

٢ - راجع: نصر حامد أبوزيد: النص والسلطة والحقيقة: إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة، ص٥٩. ونصر حامد أبوزيد: الخطاب والتأويل، ص٣٣. ونصر حامد أبوزيد: مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن، ص١٩١.

٣ - راجع: طيب تيزيني: النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة، ٣١٩.

للنصوص، علمًا أنَّ الشّيعة ليسوا باطنيَّة، بل إنَّ الباطنيّة فرقة من فرق الشيعة، وفرق الشيعة تصل إلى ما يقارب «مائة» فرقة ما بين قديم وحديث، مع ذلك نجد هناك تقصدًا واضحًا لاتهام الشيعة جميعًا بالباطنيَّة.

يقول (طيب تيزيني): «الظاهر والباطن لم تستنبط عند جمع من المفسرين والمؤولين والفقهاء وأصحاب المذاهب مثل الشّيعة والصُّوفية من البحث في النص القرآني والحديثي، والتمعن فيه»[١].

نعم، لقد ترسخت تهمة الباطنية عند الحداثيين العرب من خلال أشخاص تبنوا هذه التهمة، أو أخذوا منها ما يفيد نظرياتهم، مما دعا من حُسب على «أبناء العامة» إلى رمي كل الشّيعة بالباطنية.

يقول (سعيد بن ناصر الغامدي): «وإذا اعتبرنا الشّيعة الرافضة أصل المنبت الذي نبتت فيه الباطنيَّة، وما بينهما من وشائج الصلة الاعتقادية ما يُمكن اعتبارهم من خلال هذه الوشائج في سلك الباطنية، فإنَّا نَعُدُّ من رؤوس الحداثة والعلمنة من الرافضة: ‘عبد الوهاب البياتي، ومظفر النواب، ومهدي عامل، وحسين مروة، ومحمد علي شمس الدين، وشوقي بزيع، وحنان الشيخ’»[٢].

إذن فإن الشيعة أينما حلوا كانوا موضع اتهام من قِبل أعدائهم، بل إن

---

١ - طيب تيزيني: النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة، ص٢٧٨.

٢ - سعيد بن ناصر الغامدي: الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: دراسة نقدية شرعية، ج٢، ص٩٢٤.

من كان أصله شـيعيًّا ثم أصبح ملحدًا فيما بعد فإنَّه متهم وهو محل اتهام أينما حل أو ارتحل، وذلك لأنَّ أصله كان في يوم من الأيام شِيعيًّا.

يقول (عبد الحميد جيدة) مؤكدًا ما قلناه: «ونرى هذا الاتجاه يمتد حتى يصل إلى شـعرنا المعاصر عن طريق الشـعراء الباطنيين الإسماعيليين من الشيعة، سواء من جنوب العراق، أم من جنوب لبنان، أم من جبل العلويين في سـوريا، وكانت باطنيتهم سببًا من أسـباب الغموض في شعرنا العربي المعـاصر؛ لأنَّهـم الآن يمثلـون الطليعة بين شـعراء العربيـة المعاصرين المجددين»[1].

إنَّ تهمة الباطنيَّة -المُصطنعة- أصبحت ملاصقة للشـيعة الإماميَّة زورًا وبهتانًا، كتبها وعاظ السلاطين، ورسخها كُتاب كتب الملل والنحل، وروج لها المستشرقون، وتبناها الحداثيون العرب، فأصبحت تلك الصنيعة تهمة جاهزة يُرمى بها الشيعة الإمامية، وأصبحت ملاصقة لهم متى ما ذُكروا، أو ذُكرت.

إنَّ إلصاق تهمة الباطنية السلبية أو المنحرفة بات يلازم الإمامية ويلازم نصوصهـم وتراثهم، بينما نجدها تُؤَوَّل لو قـال بها غيرهم، وتلوا النصوص لو مسـت الحُكام وولاة الأمر، وتبرر لو ذَكـرت تاريخ وأصل ومرجعيات دعاة الحداثة.

---

١ - عبد الحميد جيدة: الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، ص٨١.

٢ـ تُهمَةُ الهِرمسيَّة:

إنَّ تُهمة الهِرمسية تعد من أشهر التهم -كذلك- التي اتُهم بها الشيعة الإمامية من قبل الحداثيين العرب.

فالهِرمسية هي: مجموعة من آراء وأفكار ومعتقدات ونصوص قديمة ترجع إلى (هِرمس)، أو (هرمز)، والذي يطلق اسمه على الإله المصري (تحوت)، أو على شخصية (أمحوتب)، وأنَّه وزير الفرعون (زوسر) من الأسرة الفرعونية الثالثة[1].

وهنا لابدّ من تبيين جملة أمور مهمة خاصة بالهِرمسية، والتي منها:

أ ـ من هو (هِرمس)؟

يعد (هِرمس) من أكثر الشخصيات غموضًا في التاريخ، إذ قد تنازع لقبه الكثيرون، واختلفوا في أصله ما بين يوناني، وإسكندري، وبابلي، وفارسي، وفرعوني، وعربي.

إنَّ هناك من يدَّعي بأنَّ أصل (هِرمس) عربي، وأن اسمه هو (أخنوخ) أو (إدريس)، وكما هو المدعى والمشهور.

يقول المستشرق الفرنسي (بيير لوري) عن (هرمس): «تلتقي التقاليد الإسلامية الباطنية، مع تقاليد مصرية فرعونية، ويونانية، وتقاليد غُنوصية يهودية ومسيحية على اعتبار (هرمس/إدريس/أخنوخ) أول من تلقى الوحي في العلوم/الفنون المختلفة: ‘علم الفلك، فن العمارة المقدس،

١ - راجع: تيموثي فريك: متون هرمس، ص٢٠٧.

التنجيم والطب، والخيمياءُ وهكذا نسبت هذه العلوم إليه»[١].

إنَّ في الطرح المتقدم خلطًا واضحًا ما بين (هرمس) و(أخنوخ)، وكذلك ما بين العلوم النافعة، والأخرى الضارة كالسحر والتنجيم، وهذا الخلط كثيرٌ جدًا عند المستشرقين، وكذلك عند تلامذتهم من الحداثيين العرب.

علمًا بأن الهرمسية ما هي إلا مجموعة أفكار ومعتقدات كانت قد كُتبت في القرن الثالث قبل الميلاد، تُقسم إلى كتابات شعبية، وأخرى علمية فلسفية، كان قد ظهر الطابع العلمي الفلسفي منها في القرن الثاني الميلادي وسط الأجواء «الهلنستية»[٢].

لذلك قيل إن الهرمسية هي مجموع هذه العلوم الباطنية والتي هي: علم الحروف والتنجيم، والسيمياء (سحر الحروف)، ولاسيَّما الخيمياء[٣].

وعن نشأة وأصول الهرمسية يقول الباحث والمستشرق الفرنسي (بيير لوري): «أرى من المفيد أن نستعرض النقاط الرئيسة لنشأة علم هرمس الشهير هذا وتطوره...، نشأت الخيمياء في مصر حوالي القرن الثاني قبل المسيح، وفي أوساط حرفيين وفلاسفة يتكلمون اليونانية... ولقد تلقى العالم 'العربي ـــ الإسلامي' هذه الخيمياء باكراً وبتلهف، وذلك في بعض

---

١ - بيير لوري: من تاريخ الهرمسية والصوفية في الإسلام، ص١٥.
٢ - راجع: محمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة، ص١٠٠١.
٣ - بيير لوري: من تاريخ الهرمسية والصوفية في الإسلام، ص.ص١٠٩ـ١١٠.

الأوساط على الأقل، فمنذ القرون الأولى للهجرة ابتدأ تداول كثير من النصوص باللغة العربية لمؤلفات خيميائية منسوبة لكُتاب يونانيين، أو حتى لآلهة يونانيين. وبموازاة ذلك فقد نُسبت إلى مؤلفين باطنيين مسلمين أعمال مهمة في الخيمياء: مثل نصوص لخالد بن يزيد، وجعفر الصادق، وجابر بن حيان»[1].

إنَّ قول المستشرق الفرنسي (بيير لوري) وغيره من المستشرقين كان هو الأساس لأُطروحات الحداثيين العرب.

إلاَّ أنَّ البحث تنبه إلى قوله «نُسبت»، أي: ليست حقيقية، وإنما هي نُسبت لهم، مع ذلك فقد جعلها الحداثيون العرب حقيقة وألصقوها بالشّيعة الإماميَّة، وبالنص الإمامي.

مع ذِكره للإمام الصادق عليه السلام، وجعله من مؤسسي الهِرمسية، أو من مخترعي العلوم الهِرمسية.

فكانت أقواله وأقوال باقي المستشرقين هي المنبع الذي أخذ منه الحداثيون العرب أفكارهم في اتهام الإماميَّة والنصّ الإمامي بالهرمسية.

ب ـ الشّيعَة وتُهمَة الهِرمسيَّة:

إنَّ تهمة الهِرمسية هي من أشهر التُّهم التي أُلصقت بالشيعة الإمامية وبالنص الإمامي، من قِبل الحداثيين العرب.

---

١ - بيير لوري: من تاريخ الهرمسية والصوفية في الإسلام، ص١٥.

فنجد (محمد عابد الجابري) يتهم الشيعة بالهرمسية[١]، وذلك في أكثر من مكان من مشروعه وكتاباته ومقالاته ولقاءاته الصحفية.

كذلك الحال بالنسبة إلى باقي الحداثيين العرب، والذين اتهموا النصَّ الإمامي بأنَّه هرمسي، نقلاً عن كتب الملل والنحل، وعن آراء وكتابات المستشرقين.

٣ـ تُهمَةُ اللَّامَعقُول:

إنَّ التُّهمة الثالثة المشهورة التي وُجهت إلى الشّيعة الإماميَّة عمومًا، وإلى النص الإمامي خصوصًا، هي تهمة اللامعقول، وهنا لابدَّ من تبيين جملة من الأمور المهمة، والتي منها:

أ ـ المُرَادُ باللَامَعقُول:

يُعرف (كولن ولسن) اللامعقول بأنه هو: الخيال الذي يهدف أو يحاول أن يكون نسخة ثانية من الواقع المحتمل[٢].

كما وإنَّ المراد باللامعقول في «مسرح اللامعقول» هو: الثرثرة الفارغة

---

١ - راجع: محمد عابد الجابري: فهم القرآن الحكيم: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، ص.ص.١٨١ـ١٨٢. ومحمد عابد الجابري: تكوين العقل العربي، ص.ص.١٩٣ـ١٩٤، و٢٠٠، و٢٢٥، و٢٧٥. ومحمد عابد الجابري: بنية العقل العربي، ص٢٧٤، ومحمد عابد الجابري: العقل الأخلاقي العربي، ص.ص٢٢٨ـ٢٢٩. ومحمد عابد الجابري: نحن والتراث، ص١٢٩.

٢ - راجع: كولن ولسن: المعقول واللامعقول في الأدب الحديث، ص٥.

والسخرية والهراء والصور الشبيهة بالأحلام، وما يتناول عجز اللغة[١].

كما ويرى آرنولد هنجلف أنَّ اللامعقول: هو «ترجمة اصطلاح Absurd بالحرف الكبير، في الحالة الاسمية، وهو المفهوم الدرامي المسرحي الروائي الذي يستند إلى فلسفة العبث، أو العبثية Absurdity، وعندما يكون الحرف صغيراً فإنَّ الكلمة تشير إلى الصفة 'تافه، غير معقول' ويكون الاسم 'تفاهة، منافاة العقل'، ولأنَّ الكلمة الأولى الإنجليزية والفرنسية تشير إلى الفلسفة كما تشير إلى الأدب الذي يستند إليها، يُصبح من المفيد ترجمتها بشكلين: لامعقول عند الإشارة إلى الأدب؛ وعبث عند الإشارة إلى الفلسفة»[٢].

ولقد ورد في المعجم المسرحي بأن كلمة «لامعقول» تدل على «كل ما هو غير منطقي»[٣].

ب ـ الشّيعَة وتُهمَة اللاَمَعقُول:

لقد تبنى (عادل ضاهر) مصطلح اللامعقول، وذلك في بحثه «اللامعقول في الحركات الإسلامية المعاصرة»[٤]، والذي يَعتبر أنَّ اللامعقول هو «الكذب»، والذي وصم به جملة من الكتابات والنصوص الشيعية الإمامية.

---

١ - راجع: مارتن اسلين: دراما اللامعقول، ص.ص.٨ـ١٠.

٢ - آرنولد هنجلف: موسوعة المصطلح النقدي (اللامعقول)، ص٩.

٣ - ماري إلياس وحنان قصاب: المعجم المسرحي، ص٣٠٣.

٤ - عادل ضاهر: اللامعقول في الحركات الإسلامية المعاصرة، ص١٤.

كـما ويتهم (محمد عابد الجابري) الشـيعة والفكر الشّـيعي الإمامي، والنص الإمامي، بما يسميه بـ(اللامعقول)[١]، وذلك في أكثر من مكان من مشروعه وكتاباته ومقالاته ولقاءاته الصحفية.

لـذا نجد الأسـتاذ (إدريس هـاني) وردًا عـلى تهم (الجابـري) يقول: «وحينـما نعـود إلى جملة المصادر التـي اعتمدها (الجابـري) في تناوله للفكـر الشّـيعي، وهي العملية التي ستكشـف، ليس فقـط، عن عجز في الاسـتيعاب، بل، وهو الأخطر من ذلك، عن عجـز في الفرز بين مختلف الفرق الشـيعيَّة، خصوصًا الإسماعيلية منها والاثني عشرية. بل حتى على صعيـد العرفان الشـيعي، في تلك الصلة التـي أوجدها في ما بين تصوف (ابـن عـربي) أو (الجنيد) وعموم الباطنيـة، وبين التيـار الغنوصي، نتبين الخلـط الذي يعود إلى ذهنية البحث عن الأشـباه والنظائر، كما تعكسـها مجمل الأبحاث الكلاسيكية، الناظرة في تلك العلاقات»[٢].

لقـد عكـس مـشروع النقد عنـد (محمد عابـد الجابـري) إرهاصات المنظومة التي يتبع لها، فهو لم يتكلم وينتقد كفرد، بل هو أزاح إلى الخارج ما تؤمن به منظومته الأم، وهي المنظومة المعادية للشّيعة الإماميَّة، وللنصّ الإمامي، بكل ما به، مهما كان، وكيفما كان!

---

١ - راجـع: محمد عابد الجابـري: تكوين العقل العربي، محمـد عابد الجابري، ص.ص. ٤٥، و٦٨، و١٣٦، و١٤٠، و١٤٤، و١٦٣.

٢ - إدريس هاني: كفى ثقافة طائفية ومثقفون طائفيون، ص١١.

إنَّ مــن الملفت للنظــر أنَّ (محمد عابد الجابــري) كان يدَّعي التعامل العلمي والعقلي مع أي قضيةٍ كانت، لكنه عندما يصل إلى الشيعة الإمامية نجــده يتكلــم بحس مغايــر، إنَّه يتكلم بحــس طائفي خالٍ مــن كل أنواع المعالجــات العقليَّــة أو العلميَّة أو الموضوعيَّة، حتــى وصل به الحال أن أطلق على التراث الشَيعي تسمية (اللامعقول)!

نعم، فإنَّ «جدل الخطابة المتســتر بمناهج علمية في ظاهرها الخاصية التي تتبادر إلى الذهن، ونحن نقرأ أبحاث د. الجابري حول الفكر الشّيعي وتاريخه الســياسي، هي تلك المحاولة التي لم تقطــع مع طرائق الجدل، ونعني بها طرائق الخطابة القائمة على كثرة الأقيســة الناقصة والمصادرات على المطلوب، والمغالطات، حتى وهي تتستر وراء مناهج ومفاهيم، تبدو -في ظاهرها- علمية وبرهانيــة على أنه لا يكفي، في التحليل العلمي إيراد المفاهيم العلمية، هذه التي من اليســير تحويلها إلى أســاس لرؤية مفارقة حينما لا نحسن استخدامها أو توظيفها»[1].

إنَّ مــا لا يمكــن التغاضي عنه هــو يملكه (محمد عابــد الجابري) من أمية كبــيرة وواضحة بالتراث الشّــيعي. فلم تعكس محاولاتــه النقدية أيَّ إلمامٍ بالتاريخ والفكر الشّــيعي، يدل وتدل على ذلك مصادره التي اعتمد عليهــا، ذلك «إننا نعثر على مصادر هزيلة جدًا، من الصعوبة بمكان تقبلها

١ - إدريس هاني: كفى ثقافة طائفية ومثقفون طائفيون، ص١٠.

بوصفها آثارًا مرجعية كافية، لتشكل رؤية متكاملة عن التشيع. نجد اعتمادًا بسيطًا على ما لا يتجاوز ثلاثة مصادر أو أربعة...، بالإضافة إلى عدد من المصادر الاستشراقية»[١].

إنّ هذا قد (قاد محمد عابد الجابري) إلى التلفيق المتعمَّد القائم على الأحكام المسبقة، وبذلك تكون النتيجة سابقة للبحث من أول الأمر. فـ»الجابري الذي أُلف إخفاء الكثير من مصادره وبتر العديد من النصوص التي من شأنها أن تكون شواهد ضد خطواته الانتقائية»[٢].

فهو يريد بذلك تلفيق التهم للشّيعة الإمامية، وللنص الإمامي، ومن ذلك تهمة اللامعقول، والتي أخذها من كتابات أوروبية وغربية، ومن بعض كتابات المستشرقين، ثم صاغها بصياغات طائفية، ليكيلها للشيعة الإمامية، ويتهم بها النص الإمامي.

يقول الأستاذ (خالد كبير علال): «وأما الباحث (محمد عابد الجابري)، فأخطاؤه في الكتابة العلمية كثيرة، منها طائفة أولها عدم توثيق كثير من الأخبار التي أوردها في مؤلفاته التي اطلعت عليها، منها أنه ذكر أخبارًا عن الشعوبية زمن الأمويين والعباسيين، من دون توثيق لها ـ أي لم يذكر مصادره ـ وأورد أخبارًا عن المفاخرات بين القبائل بلا توثيق، وذكر أخبارًا عن نشأة الفقه الإسلامي وتطوره ولم يوثق معظمها، وأورد أخبارًا كثيرة عن المنطق

١ - إدريس هاني: كفى ثقافة طائفية ومثقفون طائفيون ص١١.
٢ - إدريس هاني: كفى ثقافة طائفية ومثقفون طائفيون، ص١٦.

الصـوري والترجمـة في بغداد بـلا توثيق، وذكر اخبـارًا خطيرة عن علاقة المتكلم هشام بن الحكم "ت١٩٨هـ"، بجعفر الصادق "ت١٤٨هـ"، من دون أن يوثقهـا، وذكر خـبرًا خطيرًا أيضًا زعم فيـه أنَّ عليًّا وطلحة والزبير رضي الله عنهم كانوا منافسين دائمين للخليفة عثمان رضي الله عنه لأنَّهم من بقية أهل الشورى ولم يذكر لنا المصدر الذي استقى منه هذا الخبر»[1].

وذلـك واضح جدًا، ومشـخص عـلى (الجابري)، وقد ذكـره أكثر من كاتـب، حتى أصبح من السـمات الملازمة لـ(الجابـري)، وأول ما ينتقده المنتقدون عنده.

يقول الأستاذ (عبد الإله بلقزيز): «تنطوي أعمال (محمد عابد الجابري) على مشكلتين لا تقبلان التجاهل هما: إحجام الباحث، في الأعم الأغلب من كتبـه، عن التصريـح بالمصادر والمراجـع العربية التـي يعتمدها في كتابـةِ ما يكتبه، ويسـتند إلى فرضياتهـا في البحث، أو مادتهـا التاريخية، أو مضمونهـا المعرفي، وهي كثيرة وافرة بين سـطور كتبـه...، ثم تجاهله مسـاهمات باحثين عرب معاصرين عملوا طويـلاً في ميدان تاريخ الفكر العربي ودراسـة التراث...، نكتفي بالإشارة إلى أربعة منها: تجاهل أحمد أمين... في: البيـان، والبرهان، والعرفان... وتجاهـل عبد الرحمن بدوي في كل مـا كتبه عن الفلسـفة وعلـم الكلام والتصوف والنزعـات الباطنية

١ - خالـد كبير عـلال: الأخطاء التاريخيـة والمنهجية في مؤلفـات محمد أركون ومحمد عابد الجابري دراسة نقدية تحليلية هادفة، ص١٣.

والغنوصية والهرمسية في الإسلام... ثم تجاهل فهمي جدعان في ما كتبه عن محنة أحمد بن حنبل... ثم عدم الإشارة إلى سبق ناصيف نصار في استخدام مفاهيم: العقيدة، والغنيمة، والقبيلة»[1].

بذلك يتوضح مدى الخلل المعرفي عند الجابري وباقي الحداثيين العرب، والغاية من اتهام الشيعة الإمامية والنص الإمامي بشتى التهم، وذلك خدمةً لمشروع أيديولوجي وإقصائي بامتياز.

١ - عبد الإله بلقزيز: نقد التراث، ص.ص.٣٥٥ـ٣٥٦.

الفَصْلُ الرَّابِعُ

مُحَمَد عَابِد الجَابرِي وَالتَّعَامُل مَعَ النَّص الإِمَامِيّ

إنَّ من المهم الوقوف عند تعاملِ (محمد عابد الجابري) مع النصّ الإمامي، كونه من أبرز الحداثيين العرب، وكونه من أكثر المنتقدين للشّيعة الإماميَّة.

فإنَّ (محمد عابد الجابري) وبحسب ما توصل إليه الباحث عن طريق قراءة كامل مشروعه قد تعامل مع النصوص الإسلاميةِ عمومًا، ومع النصّ الإمامي خصوصًا بطريقة انتقائيةٍ وتشكيكيَّةٍ، وبطريقة إقصائيَّةٍ، فهو قد يلجَأُ إلى الروايات الشاذَّة والمرفوضة في سبيل إثبات ما يريده، ولو على حساب الواقع، فهو ينتقي الروايات ويستشهد بآراء المستشرقين المشكّكَة بالنصوص، ويأخذ من كتابات المنتقدين للتراث والإسلام، وينقل من كتب الملل والنحل، وبالخصوص طعنها بالشّيعة. لذا سيقف البحث في مطالب هذا المبحث عند تعاملات (محمد عابد الجابري) مع النصّ الإماميّ، وما هي أهدافه من وراء ذلك؟ والرد الموضوعي على مقولاته.

المَبحَثُ الأَوَّل:
الانتِقَائِيَّةُ فِي التَّعَامُلِ مَعَ النَّصّ الإِمَامِيّ

إنَّ التعامل الانتقائي هو من أبرز تعاملات (محمد عابد الجابري) مع

النصوص الإسلامية عمومًا، ومع النصّ الإمامي خصوصًا، لذلك فإنَّ «الجابري في تعريفه بالأبعاد الأيديولوجية للنظام المعرفي في العالم الإسلامي، يسعى وراء البحث عن أيديولوجيته، وأنَّ هذا الاتجاه يؤدي به إلى انتقاء الشواهد التاريخيَّة التي يريدها»[١]. ولا يسير بموضوعية في تعامله مع هذه الشواهد.

إذن فإنَّ من طرق تعامل (محمد عابد الجابري) هي الطريقة الانتقائية وفي كل شيء، ومن ذلك -على سبيل المثال- انتقاء الشواهد التاريخيَّة التي تخدم ما يريده من طرح، وما يبنيه من بناء، وما يروج له من آراء، وبذلك فقد تغلبت الأيديولوجيا الانتقائية عنده على الطرح العلمي والموضوعي، بل يكاد الطرح الموضوعي أن يكون معدومًا في كل مشروعه، وهذا ما وضحه منتقدوه، ومنتقدو مشروعه الفكري.

فقال كل منتقدوه إنَّ (محمد عابد الجابري) يتميز بالانتقائية والتناقض المنهجي[٢]. وهذا واضحٌ جدًا عند كل من قرأ مشروعه وكتاباته وأُطروحاته قراءةً منصفةً وموضوعيةً.

إنَّ الانتقائية عند (الجابري) تعمل كآلية خفيةٍ لدعم الرؤية الشمولية عنده، وذلك من خلال تسليط الضوء على أحداث ونصوص بعينها، وتناول نصوص غيرها على استحياءٍ أو مجافاة، إذ يؤدي مثل هكذا أسلوب

١ - محمد عابد الجابري: دراسة النظريات ونقدها، ص٦٥.

٢ - راجع: محمد عابد الجابري: دراسة النظريات ونقدها، ص١٧٩.

إلى حجب رؤية المتلقي أو القارئ، وتمنعه من التشـكيك لشدة التدليس فيها[١].

إذن فإنَّه أسلوبٌ مقصودٌ، وأيديولوجيا مقصودة، هدفها ممارسة التشويه من جانبٍ، والتدليس من جانبٍ آخر، وذلك على النصوص عمومًا، وعلى النصوص الإمامية خصوصًا، حتى وصلت هذه الانتقائية إلى حدّ التعسف المفرط.

إنَّ انتقائية (محمد عابد الجابري) انتقائيةٌ تعسـفيةٌ[٢]، فهي بحق انتقائية شـديدة التعسـف، ومفرطة في إقصاء الآخر، وبالخصوص الآخر الإمامي شخوصًا ونصوصًا.

لقد كان منهج (الجابري) هو ممارسة الإقصاء والانتقائية مع النصوص التـي يعدها نصوصًا «لا معقولـة»، وبالخصوص نصـوص الإمامية التي رماها بتهمة «اللامعقول».

وعـن ذلك يقول الأسـتاذ (أحمد محمـد النمر): «سـوف يبقى منهج الجابري هو في الواقع تكريس لتلك الإشـكاليات التي تصدى لمعالجتها الجابـري بنقده للعقـل العربي، ولكنَّه أسـهم في تكريسـها الإقصائي أو التسـفيهي بلمزه وغمزه أو بنقله الانتقائي، أو بتحريفه لنصوص استشـهد

---

١ - راجع: حسـين الإدريسي: محمد عابد الجابـري ومشروع نقد العقل العربي، ص.ص.٢٥٣ـ٢٥٤.

٢ - راجع: إدريس هاني: خرائط أيديولوجية ممزقة، ص٢٠٨.

بها لا تسهم في تصديق ادعائه لو سلمت من التحريف»[١].

إنَّ هذا هو ديدن (الجابري) في ممارسته لانتقائيةٍ مفرطة، انتقائية تعسفية، وطرح انتقائي يصل إلى حد تحريف النصوص من أجل أيديولوجيا خاصة يؤمن بها ويعمل عليها.

إنَّها انتقائيـةٌ وصلت إلى حد إخفاء المصادر وبـتر النصوص والتَّقول على الآخرين والنقل من غير المصادر الأصلية وتصنيع الأقوال والنقل من الطرف الآخر وتصديق أقوال المنافسـين وتغليب رواية السـلطة على كل الروايات الأخرى.

وهـذا ما يؤكد عليه الأسـتاذ (إدريس هاني) إذ يقـول: «الجابري الذي ألف إخفاء الكثير من مصادره، وبتر العديد من النصوص، التي من شـأنها أن تكون شواهد ضد خطواته الانتقائية»[٢].

إنَّ هذه الممارسـات طُبقت بحذافيرها على النصّ الإمامي خصوصًا، وهو ما عكس -بحـق- جهل الجابري الكبير والكثير بالشّـيعة، وبالتاريخ الشّيعي، وعكس مدى الموقف المؤدلج الذي يحمله، والذي أوصله إلى اتهام الشّيعة بشتى التُّهم، علمًا أنَّ هذه التُّهم قد أثبتت عدم معرفة تاريخهم ولا حقيقتهم من قبل (الجابري).

لذلـك فإنَّه يمكـن القول: «لم تعكـس محاولات الجابـري أيَّ إلمامٍ

١ - أحمد محمد النمر: الفكر الإمامي في نقد الجابري، ص.ص.٢٠-٢١.

٢ - إدريس هاني: كفى ثقافة طائفية ومثقفون طائفيون، ص١٦.

بالتاريـخ أو الفكر الشّـيعيَين، كما تدل على ذلك مصـادره المعتمدة...، إننـا نعثر على مصادر هزيلة جدًّا، من الصعوبة بمكان تقبلها بوصفها آثارًا مرجعية كافية، لتشكيل رؤية متكاملة عن التَّشيع. نجدً اعتمادًا بسيطًا على مـا لا يتجاوز ثلاثة مصادر أو أربعـة. في مقابل ذلك، وبالإضافة إلى عدد من المصادر الاستشراقية»[١].

مضافًـا إلى الحـس الطائفي الذي تميـز به (الجابـري) في تعامله مع النص الإمامي، والذي كان حسًا طائفيًا وانتقائيًا بعيدًا كل البعد عن الطرح العلمي أو الموضوعي.

يقول الأسـتاذ (قاسـم شـعيب): «إنَّ حديث (محمد عابـد الجابري) بطريقة طائفية وانتقائية عن فكر شـيعي أقـرب إلى الخرافة أو عن عقلانية مغربيـة في مقابل لاعقلانيـة مشرقية، هو حديث ينطلـق من جهل فاضح بالفقـه والكلام والفلسـفة داخل الإطار الشّـيعي، كما يـدل على قراءات انتقائية لأفكار الآخرين بعيدة عن الموضوعية العلمية»[٢].

إنَّ جهل الحداثيين العرب بالفقه وأصول الفقه وعلم الكلام والفلسـفة والمنطق واللغة واضحٌ جداً، وقد بينه البحث في مطالب سـابقة مع الأدلة على ذلك.

أمَّـا التُّهم التـي وُجهت وتُوجـه إلى الفكر الإمامي (الشـيعي)، وإلى

١ - إدريس هاني: كفى ثقافة طائفية ومثقفون طائفيون، ص.ص.١٠ـ١١.
٢ - قاسم شعيب: تحرير العقل الإسلامي، ص١١٥.

النصوص الإمامية (الشّـيعية) فهي كثيرةٌ من قِبل الحداثيين العرب عمومًا، ومـن (محمد عابـد الجابـري) خصوصًـا، ومن أهمهـا: تهمـة الباطنية والهرمسية، واللامعقول، وقد وضحها البحث فيما سبق من هذا الفصل.

إنَّ كل ذلـك يؤكد -مرة أخرى- على انتقائيـة (الجابري) في تعامله مع النـصّ الإمامي، وهو -كما أكـد البحث مرارًا- بعيـدٌ كل البعد عن الطرح العلمي، وعن الموضوعية في التعامل. لذلك سيقف البحث عند نص من نصوص (الجابري) ليثبت تعامله غير العلمي وغير الموضوعي.

يقول (محمد عابد الجابري): «ثمة وجهتا نظر في موضوع جمع القرآن، إحداهـما تُقررها المصادر السُّـنية، والأخـرى تؤكدها المراجع الشـيعيَّة "الإماميـة". أمَّا وجهة النظر السـنية الرسـمية فترجع بعمليـة جمع القرآن في مصحـف إلى عهد أبي بكـر، لتنتهي في عهد عثـمان بإقرار مصحف واحد رسـمي وإحراق ما عداه. وتستند هذه الوجهة من النظر على ما رواه البخاري خاصةً»[1]. وهنا يطرح البحث عدة تساؤلات هي:

أَوَّلًا: ما المراد بالمصادر السنية؟ وما المراد بالمراجع الشيعية؟

هـل المراد مـن «المصادر» أمهـات الكتب والمـراد بالمراجع ما أخذ من أمهات الكتب؟ أم يَقصد (الجابري) بـ«المراجع» الشـيعية هم «علماء الشيعة الإمامية»؟

---

١ - محمد عابد الجابري: مدخل إلى القرآن الكريم، ص٢١٧.

ثَانِيًا: المقارنة غير موضوعية، فما هو دخل مصادر الكتب لتقارن بعلماء «مراجع» الشيعة؟

ثَالِثًا: لماذا جعل وجهة النظر السُّنية «رسمية»، رغم أنها مجرد وجهة نظر؟ وغيرها غير رسمية؟

رَابِعًا: هل قول البخاري على ما قيل من قولٍ في جمع المصحف غير قابل للخطأ؟ وهل هو حُجة فوق حُجية القرآن الكريم نفسه؟

إنَّ هذه تساؤلات مشروعة لابدَّ من طرحها على مقولة (الجابري) المتقدمة، والتي توضح للبحث منها جملة أمور هي:

١ـ الانتقائية في المقارنة.

٢ـ انعدام الموضوعية.

٣ـ جعل من وجهة النظر واقع أو حقيقة، علمًا بأنها وجهة نظر.

٤ـ جعل من قول البخاري واقعًا، بينما لم يأخذ قول غيره، علمًا أنَّه كتابٌ حديثٌ حاله حال باقي كتب الحديث الأخرى في النَّقل.

٥ـ اعتمد على قول البخاري فقط وسلَّم به، بينما توجد أقوالٌ أخرى كثيرة جدًّا مخالفة له، أولها القرآن الكريم.

٦ـ لم يأتِ برأي الإمامية «الشيعة» في مسألة جمع القرآن الكريم مطلقًا، بل غيبها ومارس انتقائية «تعسفية» في تغييب رأي الشيعة الإمامية بمسألة جمع القرآن الكريم.

إنَّ مسألة جمع القرآن الكريم، من المسائل المهمة التي أولاها الشيعة

الإمامية الاثنا عشرية أهمية كبيرة جدًّا، ورأي الإماميَّة في مسألة جمع القرآن الكريم هو الحق، وهو مصحح للآراء في هذا الشأن، وهو الرأي الذي يدفع جميع الإشكالات التي أثيرت على طريقة جمع القرآن الكريم[١].

المَبحَثُ الثَّاني:
الإقصاءُ فِي التَّعامُل مَعَ النَّص الإمَامِيّ

لقد مارس (محمد عابد الجابري) الإقصاء مع النص الإمامي، وهذه الإقصائية واضحةٌ جدًّا في كتاباته وطروحاته وآرائه.

فمثلاً، نجد (محمد عابد الجابري) في المسار البياني لا يأتي على ذكر البيانيين من الشّيعة[٢]. الإماميَّة، بل هو يقصيهم وكأنَّه لا يوجد بيانيون عند الإماميَّة «الشيعة» مطلقًا. كما وأنَّه يتغاضى عن ذكر متكلمي الشّيعة حول السببية[٣] وما يدور حولها من كلام في إقصاءٍ متعمَّد.

نعم، إن الإقصاء كان ديدن (محمد عابد الجابري) في تعامله مع النصوص الشيعيَّة الإماميَّة.

---

١ - راجع: السيد الخوئي: ص٢٥١. محمد هادي معرفة: التمهيد في علوم القرآن، ج١، ص.ص.٣٣٤-٣٣٩.

٢ - راجع: محمد عابد الجابري: دراسة النظريات ونقدها، ص٩٤.

٣ - راجع: محمد عابد الجابري: دراسة النظريات ونقدها، ص٩٦.

فلقد استبعد (الجابري) «النصوص الشيعية في سرد التاريخ السياسي أو تفسير البنيان النظري والعقائدي للمذهب الشيعي، ومدونة الحديث الشيعيَّة، واكتفى بالنصوص السُّنية، مع الرجوع لبضعة نصوص شيعيَّة في مواقف محددة...، ورفضها دون الاستناد إلى منهج محدد، بل لأنَّها لا تتفق مع الفكرة»[١].

كل ذلك يدعو إلى القول بأنَّ الأساس الأول لمشروع (الجابري) هو نقد الفكر الشيعي الإمامي، وإقصاء النصوص الإماميَّة، وممارسة العدائيَّة ضد الفكر الإمامي ككل. لذلك يقال بأن دافع (الجابري) في كتابة مشروعه النَّقدي بالأساس هو التحامل على الفكر الإمامي، وذلك بصورة لا تتفق مع المنهج الذي حدده لنفسه في أنَّه سيكون علميًّا ومنهجيًّا، دليل ذلك نقد المفكرين الآخرين له، فقد اتهموه بالنَّزعة العرقية والعصبية والقومية والطائفية[٢].

فإنَّ هذه النزعات -بحق- كانت هي الطاغية على فكر (الجابري) وكتاباته وآرائه، وذلك من نزعات عرقية وعصبية وقومية وطائفية مفرطة، والتي وصلت إلى حد الإلغاء.

فلقد تضخم الإلغاء عند (محمد عابد الجابري) حتى بلغ به إلى إلغاء تراث بأكمله هو التراث الشّيعي ككل[٣].

---

١ - محمد عابد الجابري: دراسة النظريات ونقدها، ص١٩٧.

٢ - راجع: أحمد محمد النمر: الفكر الإمامي في نقد الجابري، ص.ص.١٨-١٩.

٣ - راجع: حسين الإدريسي: محمد عابد الجابري ومشروع نقد العقل العربي، ص٢١٩.

وذلك في طرحٍ أيديولوجي يلغي الآخر بسببٍ ومن دون سبب، كل ذلك بسبب التحاملٍ الشخصي من جانبٍ، والطائفي من جانبٍ آخر.

يقول الأستاذ (علي حسن هذيلي): «إنَّ أيديولوجيا (الجابري)، ليست هي الأيديولوجيا الرحبة التي تسع الرؤية الإسلامية أو تحتوي بعض مفرداتها، بوصفها الضد النوعي لفلسفات الحداثة وما بعدها، بل هي الأيديولوجيا الدوغمائية الضيقة التي تشتغل داخل المنظومة الواحدة فتجزئها، ثم تنحاز لأحد الأجزاء على حساب الآخر، ولا تكتفي بذلك، بل هي تذهب بعيدًا لتعلن تحالفها مع أعداء تلك المنظومة على حساب ذلك الجزء مرةً أخرى»[1]. إنَّ تغييب التراث الآخر، وهو تراثٌ حي وزاخرٌ بكل معالم العلم والمعرفة، وفيه جميع أُسس الإسلام، وهو تراث يعكس وجهة نظر الإسلام الحقيقي الذي تمثله منظومة أهل البيت عليهم السلام، المتمثلة في الأئمة المعصومين عليهم السلام، ما ذلك إلا محاربة صريحة للواقع وللتاريخ وللأدلة العلمية، وما هو إلا تغييبٌ متعمَّدٌ.

لابدَّ هنا، من ذكر جملة أمثلة على تغييب النص الإمامي، وبالخصوص في الدراسات القرآنية، والذي منه:

أ- عدم ذِكرِ رَأي الإِمَاميَّة فِيْ مَسأَلَة «الكَلَام الإِلَهِي»:

يذكر (محمد عابد الجابري) في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ**

---

١ - علي حسن هذيلي: المثقف التكفيري؟ محمد عابد الجابري أُنموذجًا: قراءة في فكر الدكتور محمد عابد الجابري، ص٢٥.

﴿بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى:٥١].

مسألة الكلام لتفسير المراد بـ(يُكَلِّمَهُ اللَّهُ)، وهو يسترسل من صفحة (١٢٥) حتى آخر صفحة (١٣٠) عن الآراء في «مسألة الرؤية والكلام وخلق القرآن»، فيستعرض جميع الآراء، لكنَّه لا يذكر رأي علماء الإماميَّة مطلقًا[١].

إنَّ هذا إقصاءٌ متعمَّد من قِبل (الجابري) للنصّ الإماميّ، ولآراء علماء الإماميَّة، وهو مخالفٌ لما قال به (الجابري) حول الالتزام بالمنهج العلمي في مشروعه[٢].

إذ نجد مخالفاتٍ كثيرةً عند (الجابري)، ذلك أنَّه يقول شيءٌ ولا يطبقه، أو يَنظر لشيء ولا يفعله، وهكذا.

علمًا بأنَّ رأي الإمامية في مسألة («الرؤية» هو رأي مصحِح لآراء المدارس الإسلامية الأخرى، إذ يعتقد كلٌ من الأشاعرة[٣] وأهل الحديث[٤] بإمكان رؤية الله تعالى بالعين المجردة (الباصرة) في الآخرة.

---

١ - راجع: محمد عابد الجابري: فهم القرآن الحكيم: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، ص.ص.١٢٥ـ ١٣٠.

٢ - راجع: محمد عابد الجابري: تكوين العقل العربي، ص٧.

٣ - راجع: الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة، ص.ص.٢٥ـ٥١، والآمدي: غاية المرام، ص١٤٢.

٤ - راجع: جعفر السبحاني: رؤية الله في ضوء الكتاب والسنة والعقل الصريح، ص٢٧.

أمَّا الإمامية[١] والزيدية[٢] والمعتزلة[٣]، فإنَّهم يقولون بعدم إمكانية رؤية الله تعالى في الدنيا وفي الآخرة.

ب ـ عَدَم ذِكر رَأيّ الإمَاميَّة في مَسألة «الجَبر وَالاختيَار):

يذكر (الجابري) في تفسير قوله -تعالى-: ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ**﴾ [البقرة:٢٥٣].

وعند تعرضه لـ«مسألة الجبر والاختيار» أو «الجبر والتفويض»، فإنَّه يذكر جميع الآراء ولا يذكر علماء الإماميَّة[٤].

إنَّ هذا كذلك، إقصاءٌ متعمَّدٌ للنصّ الإماميّ ولآراءِ علماءِ الإماميَّة، وذلك في إبعادٍ واضحٍ لآرائهم ولمصنفاتهم التي كُتبت عن هذه المسألة

---

١ - راجع: العلامة الحلي: كشف المراد، العلامة الحلي، ص٤٦، و جعفر السبحاني: رؤية الله، ص٢٧، و جوادي آملي: التوحيد في القرآن، ص.ص.٢٥٦ـ٢٥٧.

٢ - راجع: الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج١، ص١٧٢، وجعفر السبحاني: رؤية الله، ص٢٧.

٣ - راجع: القاضي عبد الجبار: المختصر في أصول الدين، ص١٩٠، والشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص.ص.٥٧ـ١١٤.

٤ - راجع: محمد عابد الجابري: فهم القرآن الحكيم: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، ص.ص. ١٦٤ـ١٦٥.

المهمَّة، وكأنَّهم لم يكتبوا عن هذا الموضوع مطلقًا.

فـإنَّ (الجهم بن صفوان) (ت١٢٨هـ) قـال بالجبر المحض، وهذا ما ذكره الأشعري في كتابه المقالات[١].

كـما ونُقل عن المعتزلـة قولهم بالتفويـض[٢]، إلاَّ أنَّ الشِّـيعة الإماميَّة الاثنـي عشرية قد ذهبـوا إلى القول بـ«الأمر بين الأمريـن»، والذي قال به أئمة أهل البيت عليهم السلام[٣].

مـع ذلـك، فـإنَّ (محمـد عابـد الجابـري) يُغيـب ذلـك ولا يذكره، وبالخصوص رأي الشيعة الإمامية الاثني عشرية.

جـ- عَدَم ذِكـرِ رَأي الإِمَامِيَّة فِي سَـبَبِ نُزُولِ «سُـورَة الإِنسَـانِ" المباركة:

عند وصول (الجابري) إلى سـورة الإنسان المباركة، ورغم تعهده بذكر أسـباب النزول، إلاَّ أنَّه لا يذكر سـبب نزول هذه السـورة مطلقًا، ولا يَذكر علاقةَ أهلِ البيت عليهم السلام بهذه السورة المباركة[٤].

---

١ - راجع: الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج١، ص٣١٢.

٢ - راجـع: القاضي عبد الجبار: المغني في أصول الدين، ج٦، ص٤١. القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، القاضي، ص٣٢٣.

٣ - راجـع: الصـدوق: التوحيـد، ص٣٦٠ـ٣٦١، محمد باقـر المجلسي: بحار الأنـوار، ج٥، ص٧٥. والكلبايـكاني: محـاضرات في الإلهيـات، ص٢٠٥، وجعفر السبحاني: الإلهيات، ج٢، ص.ص.٣٤٩ـ٣٥٢.

٤ - راجع: محمد عابد الجابري: فهم القرآن الحكيم، ص.ص.٢٠٢ـ٢٠٤.

رغم أنَّ جُلَّ ولربما كُل المصادرِ الخاصة بأسباب النزول تَذكر أنَّ سورةَ الإنسان قد نزلت بحق أهلِ البيت عليهم السلام، وبالخصوص الإمام علي وفاطمة الزهراء والحسن والحسين عليهم السلام.

ففي قولـه تعالى: ﴿**وَيُطْعِمُـونَ الطَّعَـامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْـكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا**﴾ [الإنسان:٨].

يقول الواحدي (ت٤٦٨هـ): «قال عطاء عن ابن عباس: وذلك أنَّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه نوبةً، أجر نفسـه يسـقي نخلاً بشيءٍ من شعير ليلـة حتى أصبح، وقبض الشـعير وطحن ثلثه، فجعلوا منه شـيئًا ليأكلوه، يقال له: الخزيرة، فلمَّا تم إنضاجه، أتى مسـكين فأخرجوا إليه الطعام، ثم عمـل الثلث الثاني، فلما تـم إنضاجه أتى يتيم فسـأل فأطعموه، ثم عمل الثلث الباقي، فلمَّا تم إنضاجه أتى أسـير مـن المشركين فأطعموه، وطووا يومهم ذلك، فنزلت فيه هذه الآية»[1].

مضافًا إلى أشهر كتب أسباب النزول، والتي تناولت أسباب نزول سورة الإنسان المباركة.

د ـ عَدَم ذِكرِ رَأيّ الإِمَامِيَّة فِي مَسأَلَة الخُلُودِ فِي الجَنَّة أَو النَّار:

فإنَّ (محمد عابد الجابري) وفي بيانه لسـورة الانشقاق المباركة، وعند الكلام عن «مسـألة الخلود في الجنة أو النـار»، يذكر جميع الآراء ويُغيب

١ - أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي: أسباب النزول، ص٤٤٨.

رأي علماءِ الإماميَّة[١].

إنَّ هذا إقصاءٌ واضحٌ للنص الإمامي، ولآراء علماء الإمامية في مسألة الخلود في الجنة أو الخلود في النار، وما يتعلق بها من أبحاث كلاميَّة وعَقَديَّة مهمَّة.

علمًا بأنَّ (محمد عابد الجابري) ضعيفٌ في علم الكلام، حاله في ذلك حال جميع الحداثيين العرب، الذين لا يفهمون أكثر المسائل العَقَديَّة والكلاميَّة، ويفسرونها بأدوات غربية بعيدة عن واقع المسائل الكلامية، وبعيدة عن المراد من النص العقدي أو الكلامي.

علمًا أنَّ علماءَ الإماميَّة قد ذكروا هذه المسألة، وفصلوها ووضحوها بكثير من التوضيح[٢]، وفي الكثير من المصادر الشيعيَّة المشهورة والمعروفة، إلَّا أنَّ (الجابري) يُغيب آراء الشيعة الإمامية في هذه المسألة المهمة، ويُغيب جميع نصوصهم التي تكلمت عن ذلك.

هـ ـ عَدَم ذِكرِ رَأي الإِمَامِيَّة فِي الآيَة (٥) مِن «سُورَة المُزَّمِّل» المباركة:

فعند بيانه لسورة المزمل المباركة، ووصوله إلى قوله -تعالى-: ﴿**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلا**﴾ [المزّمّل :٥]

---

١ - راجع: محمد عابد الجابري: فهم القرآن الحكيم، ص.ص. ٣٠٣ـ٣٠٥.

٢ - راجع: الشيخ المفيد: تصحيح الاعتقاد، ص.ص٩٥ـ٩٧، والشيخ الطوسي: التبيان، ج١، ص١٧٩، والطبرسي: مجمع البيان، ج١، ص١٤٧. والطبرسي: جوامع الجامع، ج١، ص٨٧. وفضل الله الزنجاني: تاريخ علم الكلام، ص١١٦.

فهو يستعرض جميع الآراء التفسيرية الخاصة بتفسير هذه الآية المباركة، لكنَّه لا يذكر رأي علماءِ الإماميَّة مطلقًا[١].

علـمًا بأنَّ رأي الإماميَّة، وبالخصوص أئمة أهل البيت عليهم السـلام، كان في قمة الرُقي والعقلانيَّة، وذلك في تفسير الآية (٥) من سورة المزمل المباركة، وذلك في توضيحهم لـ«الوحي المباشر»؛ والذي هو من أقسـام الوحي ومن أصعبهـا، وقد وردت جملة من الروايات في الكتب الحديثية الشّيعيَّة وغيرها تتكلم عن الوحي المباشر منها:

قال الإمام الصادق عليه السـلام في تفسير الآية (٥) من سورة المزمل: «كان ذلك إذا جاء الوحي وليس بينه وبين الله مَلك»[٢].

وفي روايـة أخـرى عنه عليه السـلام: «ذلك إذا لم يكـن بينه وبين الله أحد؛ ذلك إذا تجلى الله له»[٣]. وما رُوي عن الحارث بن هشام وهو يسأل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسـلم عن كيفية نزول الوحي عليه، فقال النبـي صلى الله عليه وآله في جوابه: «أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشد عليّ، فيفصم عنّي، وقد وعيت ما قال»[٤].

---

١ - راجـع: محمـد عابد الجابري: فهم القرآن الحكيم: التفسـير الواضح حسـب ترتيب النزول، ص٣١٨.

٢ - الشيخ الطوسي: الأمالي، ص٣١، والبرقي: المحاسن، ص٣٣٨، محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج١٨، ص٢٧١.

٣ - الشيخ الصدوق: التوحيد، ص١١٥.

٤ - ابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب، ج١، ص٤١.

يقول الشيخ (محمد هادي معرفة): «ولعلَّ أكثرية الوحي كان مباشريًّا لا يتوسطه مَلك، على ما جاء في وصف الصحابة حالته صلى الله عليه وآله ساعة نزول الوحي عليه، كان ذا وطءٍ شديد على نفسه الكريمة، يجهد من قواه، وتعتريه غشوة منهكة»[1]. إنَّ هذا الرأي هو في قمة العقلانية لتفسير المراد بـ«القول الثقيل»، وهو ما صرح به أئمة أهل البيت عليهم السلام، وما قال به علماء الإماميَّة.

و ـ عَدمُ تَبيين رَأيّ الإمامِيَّة فِي سَبَب نُزُولِ الآية (٦١) من «سورة آل عمران» المباركة:

فعند بيانه لسورة آل عمران المباركة، وعند الآية (٦١) منها، والخاصة بقضية أو حادثة «المباهلة» المشهورة، إذ يقول -تعالى-: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾ [آل عمران :٦١]

فإنَّ (محمد عابد الجابري) لا يذكر سبب النزول لهذه الآية مطلقًا[2]، علمًا أنَّه قال بالالتزام به، وقد أجمعت المصادر السُّنية[3]، وكذلك

---

١ - محمد هادي معرفة تلخيص التمهيد، ج١، ص٣٩..

٢ - راجع: محمد عابد الجابري: فهم القرآن الحكيم: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، ص١٤١.

٣ - راجع: الزمخشري: الكشاف، ج١، ص٤٨٢. والفخر الرازي: التفسير الكبير، ج٨، ص٢٤٥. الثعلبي: تفسير الثعلبي، ج٣، ص٨٥. البيضاوي: تفسير البيضاوي، ج٢، ص.ص.٢١-٢٢.

الشّـيعيَّة[١]، على أنَّ المـراد بهم هم النبي الأكرم وعلي وفاطمة والحسـن والحسين عليهم السلام.

بـل هو يؤكد عليه في موارد معينـة[٢]، لكن عندما تكون الكفة والحُجة لصالـح النـصّ الإماميّ، نـراه لا يذكر سـبب النزول، ويمـارس منهجيته الحقيقية بأسلوب إقصائي واضح.

وعن تناقضه في مسـألة أسـباب النزول يقول الدكتور (محمد عمارة): «هكـذا نقـض الجابري غزلـه، وحكم على أنَّ الأسـاس الـذي أقام عليه مشروعـه «البدعة»، لا يعـدو أن يكون ضربًـا من الظنـون والتخمينات! وهكـذا جمعنا من نصوص الحداثي ـــ العقلاني ما يكون مقالاً في نقض الأسـاس الذي بنى عليـه مشروعه الكبـير: فهم القرآن الحكيم وتفسـيره الواضح حسـب ترتيب النزول. لقد نقض الرجل غزله، وحكم هو على أَن الأسـاس الذي بنى عليه بدعته: روايات آحاد لا تعدو الظنون والتخمينات عن أسباب نزول ما ندر من آيات القرآن الكريم»[٣].

بذلـك تتبـين مخالفـات (محمد عابـد الجابري) بخصوص أسـباب النزول، وتناقضاته المصلحية وعلى لسان غير الإماميَّة.

---

١ - راجع: الشـيخ المفيد: الإرشـاد، ج١، ص.ص.١٦٦-١٧١، ابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص١٤٤. الطبرسي: مجمع البيان، ج٢، ص٣١٠.

٢ - ظ: فهم القرآن الحكيم، القسم الثاني: ٣٩٢.

٣ - محمد عمارة: رد افتراءات الجابري على القرآن الكريم، ص.ص.٤٨ـ٤٩.

إنَّ التناقض في التعامل مع روايات أسباب النزول عند (الجابري) كثير، ومن ذلك:

اتهام جملة من روايات أسباب النزول بـ«التوظيف السياسي»، وبالخصوص ما يتعلق بـ«ليلة القدر»، لأنَّ هناك روايات من الإمامية قد بينت سبب النزول، وما هي ليلة القدر[١]. رغم أنَّه تعهد بذكر روايات أسباب النزول، وأنَّه سيأخذ بها، ويعتمد عليه في تفسيره الخاص.

ومنها: قبوله بسبب النزول من جانب، ثم اعتباره توظيفًا سياسيًّا من جانب آخر، علمًا أنَّ الرواية موضوعةٌ للطعن بالإمام علي بن أبي طالب عليه السلام[٢].

كل ذلك يعكس التغييب والإقصاء المتعمد الذي ينتهجه محمد عابد الجابري مع النصّ الإمامي.

ز ـ عَدَم بَيانه لِرَأيّ الإمامِيَّة في الآيَة (٧) من «سُورَة الرَّعد» المُبَارَكَة:

فعند بيانه لسورة الرعد المباركة، وعند الآية المباركة: ﴿**وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ۗ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ [الرعد:٧].

---

١ - راجع: محمد عابد الجابري: فهم القرآن الحكيم: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، ص١١٤.

٢ - راجع: محمد عابد الجابري: فهم القرآن الحكيم: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، ص٢٢٣.

فهو هنا لا يبين سبب النزول مطلقًا، ولا يذكر المراد بذلك، ويمر مرور الكرام عليها[١].

وهنا مخالفة أخرى لعدم ذكر سبب النزول، وممارسته للإقصاء المتعمد للنص الإمامي، وآراء مفسري الشيعة الإمامية بخصوص هذه الآية المباركة[٢].

ح ـ عَدَمُ بَيَان رَأيّ الإِمَامِيَّة فِي الآيَة (٤٧) مِن «سورة الإسراء» المُبَارَكَة:

فعند بيانه لسورة الإسراء المباركة، وبالخصوص الآية (٤٧) منها، فهو لا يبين رأيَّ الإماميَّة.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ [الإسراء:٤٧]

فالجابري هنا يذكر الآية، ويذكر سبب النزول وهو بخصوص الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، لكنَّه لا يعلق، ولا يبين مكانة علي بن أبي طالب كوزير للنبي صلى الله عليه وآله وسلم[٣].

---

١ - راجع: محمد عابد الجابري: فهم القرآن الحكيم: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، ص٣١٥.

٢ - راجع: القمي: تفسير القمي، ج١، ص٣٥٩. والشيخ الطوسي: التبيان، ج٦، ص٢٢٣، والبحراني، البرهان في تفسير القرآن، ج٣، ص ٢٢٦. الفيض الكاشاني، الأصفى، ج١، ص٥٩٦.

٣ - راجع: محمد عابد الجابري: فهم القرآن الحكيم: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، ص٣٣٣.

وما ذلك إلا إقصاءٌ متعمَّد للنصّ الإمامي، وممارسة تعسفية بعيدة عن روح الموضوعية.

ط ـ تَغيِيبُ أَسمَاءِ وَآرَاءِ عُلَمَاءِ الإِمَامِيَّة:

فهو يعمد إلى تغييب المصادر والأسماء، وبالخصوص أسماء علماء الإمامية عند تعرضه لمسألة النسخ، وعدد الآيات المنسوخة[١].

علمًا بأنَّ الآراء في مسألة النسخ، وعدد الآيات المنسوخة عند الإمامية هي في قمة العقلانية، من حيث العدد، ومن حيث اختيار ذلك العدد.

فلقد ذكر (السيد الخوئي) قُدس سره في كتابه «البيان» أقسام النسخ، وقال بأنَّ نَسخ الحكم دون التلاوة هو المشهور ما بين المفسرين، وقد أورد «قُدس سره» ما يقارب (٣٦) آية قرآنية يقال بأنها منسوخة، وقد رد كل الأقوال، ولم يؤكد إلا على نَسخ آيةٍ واحدةٍ، هي الآية (١٢) من سورة المجادلة المباركة، وقد نسخت بالآية (١٣) من نفس السورة، والتي لم يعمل بها إلَّا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وحده دون غيره[٢].

ك ـ التَّلَاعُب بِالمَصَادِر وَعَدَم المصدَاقِيَّة:

فهو يتلاعب بالمصادر، فيذكر قولًا يُنسب إلى أحد علماء الإماميَّة، لكن من مصدر سُّني، وهكذا.

---

١ - راجع: محمد عابد الجابري: فهم القرآن الحكيم: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، ص٩٩.

٢ - راجع: السيد الخوئي: البيان، ص.ص. ٢٨٠-٢٩٠.

ومن ذلك: ينقل كلام (السيد حسن الصدر) عن (محمد عجاج الخطيب)[١]. ومن ذلك: ينقل الآراء بخصوص النسخ، ومنها آراء الإمامية عن السيوطي، ويغيب المصادر الإمامية[٢].

ومن ذلك: التَّقول على الإماميَّة من غير مصادرهم[٣].

مضافًا إلى الكثير من التلاعب، والشواهد على ذلك كثيرةٌ جدًّا، وموجودة في كل كتب (الجابري)، فهو يتلاعب بالمصادر، لا بل يغيبها، ويعتمد في أقواله الإقصائية على آراء أعداء الإماميَّة، أو على آراء المستشرقين، أو على الآراء الشاذة. علمًا أنَّ كتاب (الجابري) «مدخل إلى القرآن الكريم» -على سبيل المثال- هو وبحسب قول المختصين: (مجرد استنساخ لآراء استشراقية أو ترويج لشبهات قديمة تطرق لبحثها العلماء وأماطوا اللثام عن الالتباس أو الاشتباه فيها، وبينوا الحق لمن يريده ويطلبه...، إنَّها موضة القراءات الحديثة التي يعتزم أصحابها تبديل الأصول، وتغيير القواعد، واعتماد آراء الملل والنحل الأخرى للخروج بتصورات جديدة ترضي الفكر الغربي المعاصر)[٤].

---

١ - راجع:محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، ص٦٦.

٢ - راجع: محمد عابد الجابري: فهم القرآن الحكيم، ص٩٩.

٣ - راجع: محمد عابد الجابري: مدخل إلى القرآن الكريم، ص٨٩.

٤ - عبد السلام البكاري والصديق بوعلام: الشبه الاستشراقية في كتاب مدخل إلى القرآن الكريم للدكتور محمد عابد الجابري رؤية نقدية، ص١١.

بذلـك يتوضح عمومًا منهج (الجابري) وطريقته الإقصائية تجاه النص الإمامي، ونصوص علماء الشّيعة الإماميَّة عمومًا.

المَبحَثُ الثَّالَثُ:
اِتّهَامُ النَّص الإمَامِيّ بِتُهَمٍ مُتَعَدِدَة

إنَّ مـن أسـاليب الحداثيين العـرب عمومًا، و(محمد عابـد الجابري) خصوصًـا، هو اتهام النص الإماميّ بشـتى التهم، والتـي بينها البحث في مظانّها، إذ سيتوضح مجملها في هذا المطلب.

فمثلاً، نجد أنَّ (محمد عابد الجابري) يقول بأنَّ عرفاء علماء الشيعة قد وَظفوا العرفان لخدمة أغراضٍ سياسـيةٍ[1]. ولا نـدري ما الدليل على قوله هذا؟ وكيف عرف بأنَّه توظيف سياسي؟

ومـا هذا القول إلا دليل على جهل (الجابري) بالشّـيعة الإماميَّة وبكل ما يتعلق بهم، فإنَّ «الجابري جاهل بالتشـيُّع ومختلف الجماعات الشيعيَّة وعقائدهم بشكلٍ كاملٍ؛ بحيث إن ذلك من شأنه أن يزعزع مكانته بوصفه محققًـا بارزًا. إنَّ المطالب الخاطئة التي ينسـبها الدكتـور (الجابري) إلى الشّـيعة، تُثبـت أنَّه لا يمتلـك أيَّ معلومات موثقة وعميقـة عن المعارف

١ - راجع: محمد عابد الجابري: دراسة النظريات ونقدها، ص١٠٢.

الشـيعية، وأنَّ كل مـا يذكـره في هذا الشـأن مأخوذ بالدرجـة الأولى من المصـادر الثانوية وغير الأصلية، ثم إنَّ هذه المصـادر عبارة عن مؤلفات (الذهبي) و(الشهرستاني) ونظائرهما. إنَّ مؤلفات هؤلاء العلماء ذات نزعة معادية للشيعة، وهي زاخرة بالمعلومات الخاطئة. وفي هذا الشأن لا يمكن تجاهـل التحليلات والتفسـيرات الملغزة والباطنية لـ(لويس ماسـينيون)، وإلى حدٍ ما (هنري كوربان) عن التشيُّع وتأثيره ذلك في بلورة رؤية الدكتور (محمد عابد الجابري) حول التشيُّع»[١].

إنَّ (الجابـري) وبسـبب جهلـه بالشّـيعة الإماميَّة فهو يتهمهـم بالقول بالجبر والاضطرار، وعدم العقلانية[٢]. وما ذلك إلا خلطٌ كبيرٌ في تصنيف الأقوال، ذلك أنَّه خلط ما بين آراء بعض الفرق الشـيعية، فعممها على كل الشّـيعة، ومنهـم الإماميَّة، وما ذلـك إلا جهل بفرق الشّـيعة، أو تعمُّد في الخلـط لغايـات أيديولوجية، مضافًا إلى إلقائه بتهمة الجبر على الشّـيعة، علمًا أنَّها من مقولات جملة من فرق أبناء العامة.

كـما وأنَّ (محمد عابد الجابـري) -وتبعًا لأقوال المسـتشرق الفرنسي (لويس ماسينيون)- يقول بأنَّ الشّيعة هرمسية[٣]. وهي التهمة التي يتهم بها

١- محمد عابد الجابري: دراسة النظريات ونقدها، ص١٤٤.

٢ - محمد عابد الجابري: تكوين العقل العربي، ص٢٠٠.

٣ - راجـع: محمـد عابـد الجابري: بنية العقـل العـربي، ص٣٢٧، ومحمد عابد الجابري: تكوين العقل العربي، ص٢٢٧.

الجابري الشيعة عمومًا في كل كتاباته.

نعم، إنَّ كل التُّهم الموجهة للإمامية، وللنص الإمامي أساسها شبهات واتهامات المستشرقين، وفي حالة الحداثيين العرب فإنَّه يمكن عد ثلاثة مستشرقين كانوا الأساس في هذه الشبهات، وهم بحسب قوة التأثير:

١ـ لويس ماسينيون (١٨٨٣-١٩٦٢م).

٢ـ تيودور نولدكه (١٨٣٦-١٩٣٠م).

٣.إجانتس جولدتسيهر (١٨٥٠-١٩٢١م).

علمًا أنه يمكن عد المستشرق الفرنسي (لويس ماسينيون) بأنه أبٌ للحداثيين العرب، والمؤسس للعصرنة والحداثة العربية الجديدة بكل أنواعها، وبالخصوص في المغرب العربي.

الدليل على ذلك ان الجابري يستشهد بأقوال (لويس ماسينيون) وفي أكثر من مكان حول الإماميَّة، من ذلك كلامه عن الهرمسية[١]، وكلامه عن الشّيعة في الكوفة[٢]، وكلامه عن الباطنية[٣]، وغير ذلك الكثير.

نعم، إنَّ الأثر الاستشراقي عمومًا، وأثر (لويس ماسينيون) خصوصًا واضحٌ جدًّا على كتابات (محمد عابد الجابري)، وبالخصوص حول

---

١ - راجع: محمد عابد الجابري: تكوين العقل العربي، الجابري، ص.ص.١٩٣ـ١٩٤.

٢ - راجع: محمد عابد الجابري: تكوين العقل العربي، الجابري، ص١٩٩.

٣ - راجع: محمد عابد الجابري: تكوين العقل العربي، الجابري: ص٢٠٠.

الشيعة الإماميَّة وما يتعلق بهم وبتراثهم، علمًا أنَّ رعيل العصرانيين والحداثيين العرب كان في أغلبهم تلامذة عند (ماسينيون).

يقف البحث عند تهمة أخرى من تهم (الجابري)، فهو يتهم الشيعة باللاعقلانية، علمًا أنَّه وفي مكان آخر من كتابه «مدخل إلى القرآن الكريم» يتهم القرآن الكريم باللاعقل كذلك[١]، وذلك هو العجب العجاب.

لذلك قيل بـ»أن ما يعتبره (الجابري) لاعقلانية يُدخل في إطاره كثيرًا مما ينتمي إلى صلب القرآن الكريم وحقيقته. وإنَّه لمن المغالطة القول بالدعوة إلى عقل القرآن وإبعاد اللاعقل منه! ويقصد باللاعقل كل ما هو من باب المعجزات والأمور الخارقة للعادة، مع أنَّ القرآن صرح بها وأثبتها، بل دعا من خلالها إلى الطريق المستقيم. واللاعقل الحقيقي يكمن في نفي وإنكار ما جاء في القرآن والسُّنة بدعوى العقلانية الزائفة»[٢].

وهذا واضحٌ جلي لكل من تابع كتابات (محمد عابد الجابري) عمومًا، وكتاباته عن القرآن الكريم خصوصًا.

إنَّ البحث يريد الوقوف -في مسألة اتهام النص الإمامي- على موردين مهمين، أشار لهما مسبقًا إشارةً سريعةً، هما:

---

١ - راجع: محمد عابد الجابري: مدخل إلى القرآن الكريم، ص٤٢٩.

٢ - عبد السلام البكاري والصديق بوعلام: الشبه الاستشراقية في كتاب مدخل إلى القرآن الكريم للدكتور محمد عابد الجابري رؤية نقدية، ص٢٩١.

أ ـ التَّقوُّل عَلَى الشّيعَةِ مِنْ غَيرِ مَصَادِرِهِم:

فـإنَّ هذا كثير -كما تقرر في البحث- في كتب (الجابري)، ويمكن ذكر العشرات أو أكثر من الأمثلة على ذلك، ومنها: ﴿**وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**﴾ [العنكبوت: ٤٨].

يقـول (محمـد عابـد الجابـري): «ولإعطاء فكـرة عـن تخبط بعض المفسرين في تفسير هذه الآية نورد ما يلي على سبيل المثال فقط. نقرأ فيما ذكره صاحب تفسـير روح البيان بصدد شرح هذه الآية أنَّ الشّيعة قالت إنَّه صلى الله عليه وسـلم كان يحسن الخط قبل الوحي ثم نُهي عنه بالوحي، وقالـوا إنَّ قوله: ولا تخطه نهيٌ، فليس ينفي الخط. وأضاف صاحب روح البيان: وفي الأسئلة المقحمة: قول الشيعة مردود، لأنَّ لا تخطه لو كان نهيًا لكان بنصب الطاء أو قال: لا تخططه بطريق التضعيف. وتسـاءل صاحب الأسئلة المقحمة: كيف منَّ الله على نبيه بأنَّه أُمّيٌّ ولا يعرف الخط والكتابة وهما من قبيل الكمال لا من قبيل النقص؟ ثم أجاب: إنَّما وصفه الله بعدم الخط والكتابة لأنَّ أهل الكتاب كانوا يجدون من نعته في التوراة والإنجيل أنَّه أُمّـيٌّ لا يقرأ ولا يكتب، فأراد تحقيق ما وعدهم به على نعته إياه، ولأنَّ الكتابة من قبيل الصناعـات فلا توصف بالمدح ولا الذم، ولأنَّ المقصود من الكتابة والخط هو الاحتراز عن الغفلة والنسـيان وقد خصَّه الله تعالى بما فيه غُنية عن ذلك»[1].

---

١ - محمد عابد الجابري: مدخل إلى القرآن الكريم، ص٨٩.

وفي الرد على هذا القول أمور، أهمها:

أَوَّلًا: إنَّ مؤلف كتاب «روح البيان» هو: أبو الفداء إسماعيل حقي بن الشيخ مصطفى الاستانبولي الآيدوسي الحنفي الجلوتي أو الخلوتي (ت١٧٢٥م)، وهو تركي حنفي لا يمت إلى الشّيعة بصلة مطلقًا.

ثَانِيًا: إنَّ مؤلف كتاب «الأسئلة المقحمة» قيل إنَّه: أبو القاسم الخزيمي الفزاري، إلا أنَّ الجامع للكتاب هو أبو الفداء إسماعيل حقي بن الشيخ مصطفى الاستانبولي الآيدوسي الحنفي الجلوتي أو الخلوتي السالف ذكره في أولاً، وكلاهما ليسا من الشيعة.

ثَالِثًا: أين المصدر الشيعي لما تقدم من أقوال وادعاءات على الشيعة؟ إذ إنَّ المصدر الذي ذكره (الجابري) هو لمؤلفٍ حنفي «سُني» وليس شيعي!

رَابِعًا: إنَّ «التخبط» الحقيقي هو ما وقع فيه (محمد عابد الجابري) من نسبة قول إلى الشّيعة الإماميَّة ولم يأتِ بمصدره، بل ذكر مصدرًا حنفيًّا سُنيًّا من مصادر أبناء العامة.

ب ـ فِريَة سورة «الولاية» وسورة «النورين» المزعومتين:

إنَّ هذه التهمة هي القديمة الجديدة، فتهمة أنَّ للشيعة مصحفًا خاصًّا بهم، وأنَّ فيه سورتين هما «الولاية» و«النورين»، ما ذلك إلا ما صنعته شركة الهند الشرقية البريطانية، وروجت له الوهابية، وتلقفه أعداء الشّيعة، ومن ثمَّ المستشرقين، وبعدهم الحداثيين العرب، ومنهم

(محمد عابد الجابري)[١].

يقول (الجابري): «من هذه النصوص سورة تحمل اسم سورة الولاية تقرر أنَّ علي بن أبي طالب هو الولي بعد النبي محمد، وأنَّه الخليفة من بعده»[٢].

إنَّ هذه السورة لا أصلَ لها، وهي تهمة مفتراة على الشيعة الإماميَّة، وقد أثبتت المصادر المنصِفة، والمصادر الشيعيَّة الإماميَّة كذب هذه الدعوى.

ثم يضيف (الجابري) في الهامش قوله: «ومن النصوص التي من هذا القبيل ما سُمي بسورة النورين» [٣].

فإنَّ هذه السورة -كذلك- لا أصل لها، وهي من التهم التي وجهت وتوجه للشيعة الإماميَّة، وقد ردَّها علماء الشيعة الإمامية، ووضحوا بأنها دعوى باطلة[٤].

جـ ـ فِريَة في سُورَةِ «القَلَم» المباركة:

يقف البحث هنا عند فرية أخرى من مفتريات (محمد عابد الجابري)، ألا وهي فريته في سورة القلم المباركة.

---

١ - راجع: ليث العتابي: هكذا تكلم خرافة: قصة كتاب دبستان مذاهب وظاهرة الكتب مجهولة المؤلف، ص.ص.٩ ـ ١٤.

٢ - محمد عابد الجابري: مدخل إلى القرآن الكريم، ص٢٢٧.

٣ - محمد عابد الجابري: مدخل إلى القرآن الكريم، ص٢٢٧. (الهامش).

٤ - راجع: آقا بزرك الطهراني: الذريعة، ج٨، ص٤٨. و لطف الله الصافي: مع الخطيب في خطوطه العريضة، ص٦٤، و محمد هادي معرفة: تلخيص التمهيد، ج٢، ص١٥٦.

يقول (الجابري) في بيان سورة القلم المباركة: «وفي هذا الإطار فسر بعضهم القلم في السورة التي نحن بصددها بكونه القلم الذي خلقه الله، تعالى ذكره، فأمره فجرى بكتابة جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة، كما نُسب إلى النبي عليه السلام حديث في هذا المعنى بصيغ مختلفة، أقصرها: لمَّا خلق الله العقل قال له: أقبل، فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر، فقال: ما خلقت خلقًا أشرف منك، فبك آخذ، وبك أعطي. وقد انتقل هذا المعنى إلى الباطنية فوظفته فرق الشيعة والباطنية منها بكيفية خاصة الإسماعيلية كما وظفه المتصوفة المتفلسفة، هؤلاء الذين غرفوا جميعًا من الفلسفة الهرمسية والتيارات الغُنوصية القديمة خدمةً لأغراضهم المذهبية السياسية وفي مقدمتها القول بالجبر»(١).

إنَّ قوله «فوظفته» إتهامٌ صريحٌ للإمامية، وللنص الإماميّ من دون أيّ دليل، وهذا يضاف إلى تهمه الكثيرة التي وجهها للإماميَّة كالباطنية، والهرمسية، والغُنوصية، واللامعقول.

المَبحَثُ الرَّابِعُ: القَبُول المَصلَحِي أو الطَّائِفِي بِالنَّصّ الإِمَامِيّ:

إنَّ (محمد عابد الجابري) تعامل بنوعٍ من القبول مع النص الإماميّ، لكنه قبولٌ مصلحي تارةً، وقبول طائفي تارةً أخرى، لذلك سيقف البحث عند ذلك على كلا أمريّ القبول، وهي:

---

١ - محمد عابد الجابري: فهم القرآن الحكيم: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، ص١٨٢.

أَوَّلًا: القَبُولُ المَصلَحِيّ:

يقف البحث هنا عند نوعٍ من أنواع القبول المصلحي الذي مارسه (محمد عابد الجابري) مع النصّ الإماميّ.

يقول (الجابري) في بيان سورة القصص المباركة: «يذكر المفسرون أنَّ قوله تعالى في هذه السورة 'إنك لا تَهدي مَن أَحبَبتَ' نزل في أبي طالب لما حضرته الوفاة وطلب منه الرسول أن يُسلم، فامتنع...، وورد في إحدى الروايات أنَّه: لما مات أبو طالب اشتد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا للنبي: ما تنفع قرابة أبي طالب منك؟ فقال: بلى والذي نفسي بيده إنه الساعة لفي ضحضاح من النار، عليه نعلان من نار، تغلي منهما أم رأسه، وما من أهل النار من إنسانٍ هو أهونُ عذابًا منه، وهو الذي أنزل الله فيه 'إنك لا تَهدي من أحبَبتَ، ولكن اللهَ يَهدي منْ يشاءُ، وهو أعلمُ بالمهتدين' رواه الطبري. ومثل هذا الكلام من الصعب تصديق صدوره عن النبي صلى الله عليه وسلم، علمًا بأنَّ أبا طالب هو الذي تكفل به منذ صغره، وأنه هو الذي حماه من أذى قريش إلى أن تُوفي. ونحن لا نستبعد أن تكون هذه الرواية موضوعة. فأبو طالب هو والد علي بن أبي طالب، وكان الطالبيون، أي العلويون، في نزاع مع العباسيين حول الخلافة كما هو معروف»[1].

---

١ - محمد عابد الجابري: فهم القرآن الحكيم: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، ص٣٣١.

إنَّ (الجابري) يقول «ونحن لا نستبعد أن تكون هذه الرواية موضوعة»، وأشار إلى أنَّ الوضع كان سببه سياسي، أي خلاف «علوي ـــ عباسي» بحسب تعبيره، علمًا أنَّ علماء الإماميَّة قد أثبتوا أنَّ هذه الرواية موضوعة، مع ذلك فإنَّ (الجابري) لا يذكرهم، ويُغيب أقوالهم، ولا يشير إلا إشارات باهتة إلى ذلك.

ومن القبول المصلحي كذلك، ما ذكره (الجابري) حول (السيد الخوئي) قُدس سره، وحول كتابه البيان.

إذ يقول (الجابري): «أمَّا رأي المراجع الشيعيَّة الرسمي كما تُقرره مراجعهم فنوجزه في ما يلي: عقد الإمام الشيعي أبو القاسم الخوئي فصلاً بعنوان 'فكرة عن جمع القرآن' في 'كتابه البيان في تفسير القرآن' استعرض فيه مختلف الروايات التي ذكرتها كتب السُّنة وغيرها»[1].

ثم يقول (الجابري): «واضح أنَّ وجهة نظر (السيد الخوئي)، أحد أئمة الشيعة الكبار في القرن العشرين، لا تنبني على اختلاف المرجعيات، فنحن لا نجد في ما ذكرته روايات شيعيَّة خاصة، فالروايات التي ذكرها هي نفسها التي أوردتها المصادر السُّنية»[2].

قبول ومجاملة واضحة جدًا، لإظهار موضوعية غير معهودة لـ(الجابري) في كتاباته عمومًا، وكتاباته عن الإماميَّة خصوصًا.

---

١ - محمد عابد الجابري: مدخل إلى القرآن الكريم، ص٢٢٠.

٢ - محمد عابد الجابري: مدخل إلى القرآن الكريم، ص٢٢١

ثم يقول (الجابري): «على أنَّ موقف الخوئي وبعض علماء الشيعة المعاصرين أكثر إيجابية وصِدقية من مواقف بعض قدماء علماء الشيعة ومراجعهم الذين رددوا أنَّ القرآن وقع فيه تحريف وزيادة ونقصان عند جَمعه»[١].

إنَّ علماء الإمامية بأجمعهم لا يقولون بتحريف القرآن الكريم، إنَّما أُشيع على الشيخ النوري ذلك، علمًا أنَّه لم يقصد تثبيت التحريف الذي يشاع الآن، بل كانت له وجهة نظر خاص به، وهي تبقى وجهة نظر فرديَّة، أمَّا كل الشيعة الإمامية فإنَّهم لا يقولون بالتحريف مطلقًا.

أ ـ إذا كان هذا الكلام حقيقيًّا وفق ما يتبناه (الجابري) فلماذا يتهم الشيعة فقط بالتحريف، علمًا أنَّ الحادثة أقدم من زمان تكون التشيُّع[٢].

نعم، إنَّ «الملاحظ أنَّ المعاني التي استعمل بها المؤلف ألفاظ التحريف والزيادة والنقصان والإسقاط غير واردة في الروايات التي ذكر، وفي ما أجال عليه من مراجع»[٣].

ب ـ لماذا هذا القول التشكيكي بالقرآن الكريم وما الهدف منه؟

جـ ـ إنَّ القول بالتحريف موجود في التراث السُّني وذكره علماء السُّنة وأبناء العامة بكثرة.

---

١ - محمد عابد الجابري: مدخل إلى القرآن الكريم، ص.ص.٢٢١ـ٢٢٢.

٢ - محمد عابد الجابري: مدخل إلى القرآن الكريم، ص١٧٥.

٣ - عبد السلام البكاري والصديق بوعلام: الشبه الاستشراقية في كتاب مدخل إلى القرآن الكريم للدكتور محمد عابد الجابري رؤية نقدية، ص١٩١.

ثَانِيًا: القَبُولُ الطَّائِفِيّ:

يقـف البحث عند نوعٍ آخر مِن أنـواع القبول، ألا وهو القبول الطائفي، وهو من أكثر الأنواع عند (محمد عابد الجابري).

يقـول (الجابـري): «يبقى حديث 'إني تاركٌ فيكـم الثقلين: كتاب الله وعـترتي'، وهو حديث ترويه بعض المصادر السـنية كذلك، غير أنَّ عبارة 'كتـاب اللـه' في هذا الحديـث وفي غيره من النصـوص لا تعني الكتاب المكتوب بل الكتاب المنزل» [١].

من أين جاء (الجابري) بهذا التفسـير؟ وأين قول الإماميَّة بهذا الشأن؟ وما هو المصدر الإمامي الذي أخذ منه هذا القول؟

وهذا سـيتضح لـو عُلم للقـارئ والباحث بـأنَّ (الجابـري) قد جعل القـرآن الكريم جزءًا من الموروث الإسـلامي[٢]، إذ لم يفرق ما بين القرآن الكريم -النص الإلهي المعصوم- وما بين ما أنتجه المسـلمون من كتابات ونصوص عادية «غير معصومة».

أمَّـا في مسـألة جمع القـرآن الكريم، فيقـول (الجابـري): «والحق أنَّ إلحـاح كثير من مراجع الشّـيعة الإماميَّة على أنَّ القـرآن قد تم جمعه زمن النبي وبإشرافه، يرجع إلى أصل لهم هو أسـاس اختلافهم مع أهل السـنة

---

١ - محمد عابد الجابري: مدخل إلى القرآن الكريم، ص٢٢١.

٢ - محمد عابـد الجابري: تكوين العقل العربي، ص٦٦، ومحمد عابد الجابري: التراث والحداثة، ص٢٣.

في كثـير من المسـائل، أعني بذلك رأيهم في الإمامـة. هم يرفضون إمامة أبي بكر وعمر وعثمان ‘ولهذا يسـميهم أهل السنة بالرافضة’، ويقولون إنَّ النبـي صلى الله عليه وسـلم وصى بأنَّ الخليفة مـن بعده هو علي بن أبي طالب»[١].

علـمًا أنَّ (الجابري) قـال في كتاباتٍ له بأنَّ الزيدية هـم «الرافضة»[٢]، فلماذا هذا التخبط الواضح، والتهافت في الطرح ليقول بأنَّ كل الشيعة هم «رافضة»؟

إنَّ الجابـري هنا، يأتي بنصوصٍ إماميَّةٍ، وأخرى منسـوبة إلى الإمامية، ويعلن القبول بها، لكنَّه قبولٌ لا يمت إلى الموضوعية بصلة.

١ - محمد عابد الجابري: مدخل إلى القرآن الكريم، ص٢٢١.

٢ - راجع: محمد عابد الجابري: مدخل إلى القرآن الكريم، ص١٣٠.

الفَصْلُ الخَامِسُ

(مُحَمَّد عَابِد الجَابِرِيّ)
وَالتَّعَامُل مَعَ نُصُوص القَضِيَّةِ المَهْدَوِيَّةِ

إنَّ الطرح الحداثي العربي بخصوص قضية الإمام المهدي عليه السلام، والنصوص الخاصة بها، قد تُوزع على ثلاثة أوجه من التعامل:

الأَوَّلُ: تعامل تأويلي، أو لربما خيالي.

الثَّاني: تعامل متفائل بحسبه ووفق رؤيته.

الثَّالِثُ: تعامل منكر ومتهم للنصوص الخاصة بذلك.

والذي سنتناوله في هذا البحث هو التعامل الثالث، التعامل المنكر ونموذجه البارز هو الكاتب الحداثي المغربي (محمد عابد الجابري)، وكيفية تعامله مع نصوص قضية الإمام المهدي عليه السلام.

المَبْحَثُ الأَوَّلُ:
اِتّهَامُ النَّصّ الإِمَامِيّ الخَاص بِقَضِيَّةِ الإِمَامِ المَهدِيّ عَلَيهِ السَّلَام بِأَنَّه لَامَعقُول

لقد تقدم كون (الجابري) يتهم النص الإماميّ بجملة تهم، ومن هذه التهم: أنَّه يعد النصّ الإماميّ من النصوص «اللامعقولة»، أي تدخل في حيز «اللامعقول» والخرافي والأُسطوري وهذا طرح أيديولوجي، يعكس

أيديولوجية (الجابري) المفرطة، «فإنَّ أيديولوجيا (الجابري)، ليست هي الأيديولوجيا الرحبة التي تسع الرؤية الإسلامية أو تحتوي بعض مفرداتها، بوصفها الضد النوعي لفلسفات الحداثة وما بعدها، بل هي الأيديولوجيا الدوغمائية الضيقة التي تشتغل داخل المنظومة الواحدة فتجزئها، ثم تنحاز لأحد الأجزاء على حساب الآخر، ولا تكتفي بذلك، بل هي تذهب بعيدًا لتعلن تحالفها مع أعداء تلك المنظومة على حساب ذلك الجزء مرة أخرى»[١].

ميثُولُوجيَا محوَريَّة:

إنَّ من أبرز تطبيقاته في كون النصّ الإماميّ «لامعقول» هو اتهامه بالأُسطورية، أو بكونه من «الميثولوجيا».

فإنَّ (محمد عابد الجابري) يعد الإمامة «ميثولوجيا»، وبالخصوص في الفكر الشّيعي، فيقول بأنَّ الشّيعة قد «شيدوا ميثولوجيا الإمامة متخذين هذا الإمام أو ذاك محورًا لها»[٢].

علمًا أنَّ «الميثولوجيا»: شكل من أشكال الأدب، أو القصص، والتي لا مؤلِف محدد لها، بل هي من نِتاج خيال جمعي، وتسمى بـ«الأُسطورة»، تتضمن أو تحتوي على شخصيات ماورائية أو خارقة من البشر أو من

١ - علي حسن هذيلي: المثقف التكفيري؟ محمد عابد الجابري أُنموذجًا: قراءة في فكر الدكتور محمد عابد الجابري، ص٢٥.

٢ - محمد عابد الجابري: العقل السياسي العربي: محدداته وتجلياته، ص٢٧٦.

الحيوانات أو من الجن والغيلان والأقزام، وغير ذلك.

إنَّ (محمد عابد الجابري) اعتبر الإمامةَ عند الشّـيعة «ميثولوجيا»، فهل لأنَّ الإمامة قد ذكرها الشـيعة؟ أم إشكاله على الإمامة كمصطلح؟ أم على الإمامة ككل أينما وردت؟

أولًا: هي وردت في القرآن الكريم في جملة آيات قرآنية مباركة.

ثَانيًا: وردت في أحاديث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

ثَالِثًا: قد وردت في التراث الحديثي السُّني.

يقول (محمـد عابد الجابري): «إن الغلـو وميثولوجيا الإمامة -منظورًا إليهما من هذه الناحية- يقدمان نموذجًا ناطقًا عن عناء الضعفاء على صعيد مخيالهم الاجتماعي/ الديني وإصرارهم على رفض السقوط النهائي. إنها اللاعقلانية التي يواجه بها الضعفاء المنهزمون عقلانية الأقوياء المنتصرين في كل زمان»[1].

إنَّها إذن «غلو» و«ميثولوجيا» و«لاعقلانية»؛ ثلاث كلمات تشـكل أبرز التهم التـي يوجهها (محمد عابـد الجابري) للنصّ الإمامـيّ، بل للتراث الإماميّ ككل.

الإمامة عنـد (الجابري) مجـرد «مخيال» و«ميثولوجيا» و«أسـطورة»، ولأنَّ الشّـيعة قالـوا بها، فهو يقول: «هي ملحمة سـتظل حية في المخيال

١ - محمد عابد الجابري: العقل السياسي العربي: محدداته وتجلياته، ص٢٨٨.

الشيعي، وستستعيدها جماهير الشيعة الاثني عشرية بعد غيبة إمامها الثاني عشر»[١].

أَوَّلًا: يبقى العقل الشيعي عند الجابري: «خلواً من البيان والبرهان والمنطق والفلسفة والقرآن والسنة، لأنَّ الخرافات والأساطير والأشباح والطواطم والعفاريت والسحالي والديدان...، التي تعشعش في دهاليز هذا العقل -أي العقل الشيعي- لا تحتاج إلى برهان لتثبت نفسها، لأنَّ البرهان يفسد منطقها الداخلي السائل والقائم على الرخاوة، ولأنَّ البرهان يتعلق بما هو عقلاني منطقي متماسك، لا بما هو خرافي أسطوري متداع»[٢].

ثَانيًا: إنَّ قضية الإمام المهدي عليه السلام لا تختص بالشيعة فقط، فهي قضيةٌ إسلاميةٌ من جانبٍ، وقضيةٌ موجودةٌ في أغلب إن لم يكن في كل الأديان، فإنَّ «موعود الأديان» موجود في كل الديانات، حتى الوضعية منها.

ولنراجع نصوص مدرسة أبناء العامة ماذا تقول عنها:

إنَّ قضية الإمام المهدي عليه السلام قد ذكرها جملة من علماء أبناء العامة، منهم: أبو داود (ت٢٧٥هـ)، والترمذي (ت٢٧٩هـ)، وأحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، والبزار (ت٢٩٢هـ)، وابن سعد (ت٢٣٠هـ)، والطبراني (ت٣٦٠هـ)، وأبو يعلى الموصلي (ت٣٠٧هـ)، وابن حبان

١ - محمد عابد الجابري: العقل السياسي العربي: محدداته وتجلياته، ص٢٩١.

٢ - علي حسن هذيلي: المثقف التكفيري؟ محمد عابد الجابري أُنموذجًا: قراءة في فكر الدكتور محمد عابد الجابري، ص٢٦.

(ت٣٥٤هـ)، والحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، وابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، وابـن القيم الجوزيـة (ت٧٥١هـ)، وابن ماجه (ت٨٢٤هـ)، والشـوكاني (ت١٢٥٥هـ).

فالكنجي الشافعي (ت٦٥٨هـ) -على سبيل المثال- ذكر الإمام المهدي عليه السلام وأحواله واسمه وما أورده العلماء بخصوصه[١].

وابـن تيمية (ت٧٢٨هـ) يقول: «الأحاديـث التي يُحتج بها عن خروج المهـدي أحاديث صحيحة، رواها أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم، من حديث ابن مسـعود وغيره، كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه ابن مسـعود: 'لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم، حتى يخرج فيه رجل مني أو من أهل بيتي، يواطئ اسـمه اسمي واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت جَورًا وظلمًا'»[٢].

وكذلك مـا أكده (ابن القيـم الجوزية)، بعد نقله لروايـات (أبي داود) بخصوص الإمـام المهدي: وأكثر الأحاديث على هذا تـدل[٣]. وما أورده مرتضى الزبيدي الواسطي الحنفي (ت١٢٠٥هـ) في كتابه تاج العروس[٤].

كـما ويمكـن أن نذكـر علماء مـن أبنـاء العامـة تناولوا قضيـة الإمام

---

١ - راجع: علي بن يونس العاملي: الصراط المستقيم، ج٢، ص٢٢٢.
٢ - ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج٨، ٢٢٥٤.
٣ - راجع: ابن القيم الجوزية: المنار المنيف في الصحيح والضعيف، ص٣٩..
٤ - راجع: الزبيدي: تاج العروس، ج١٠، ص٤٠٩.

المهدي عليه السلام من أمثال: أبو بكر محمد بن هارون البروياني في مسنده، الحارث بن أبي أسامة في مسنده، ابن عساكر في تاريخه، أبو بكر الإسكافي في فوائد الأخبار، الخطيب البغدادي في تخليص المتشابه، البيهقي في دلائل النبوة، السفاريني في لوامع الأنوار البهية، والمناوي في فيض القدير، والدارقطني في الإفراد، والباوردي في معرفة الصحابة، وأبو بكر بن أبي شيبة في المصنف، ونعيم بن حماد في كتاب الفتن، والحافظ أبو نعيم في كتاب «المهدي» وكتاب «الحلية»، والطبراني في المعجم الكبير والأوسط والصغير، وأبو عمرو المقري في سننه، وأبو حسين بن المناوي في كتاب الملاحم، ويحيى بن عبد الحميد الحماني في مسنده، وأبو بكر المقري في معجمه، وأبو غانم الكوفي في كتاب الفتن، والديلمي في مسند فردوس الأخبار، وغيرهم.

إنَّ أشهر من أنكر أحاديث الإمام المهدي من أبناء العامة رجلين هما:

الأَوَّلُ: (أبو محمد بن الوليد البغدادي) (٦٤٣هـ): وردت ترجمته في سير أعلام النبلاء بما نصه: «ابن الوليد مفيد بغداد المحدث أبو منصور عبد الله بن أبي الفضل محمد بن أبي محمد بن الوليد البغدادي، أحد الرحالين والمكثرين سمع: عبد العزيز بن الأخضر، وابن منينا، ومسعود بن بركة، وعبد القادر الرهاوي، وأبا اليمن الكندي، والافتخار الهاشمي، وخلقًا. وكان يوصف بسرعة القراءة وجودتها، وخطه رديء الوضع، وهو من أئمة السُّنة، له تواليف. توفي كهلاً في جمادى الأولى سنة ثلاث

وأربعين وست مائة»[١].

إذن فـإنَّ هناك طعن واضح لـ(محمد بن الوليد البغدادي)، ومن يراجع كُتب السير والتراجم سيلحظ مدى الطعن به، وبذلك تتوضح حقيقته.

الثَّاني: (عبد الرحمن بن خلدون المغربي) (ت٨٠٨هـ)، ومن المعلوم بأنَّه من أشهر وعاظ السلاطين، وممن يقلبون الكلام (١٨٠) درجة، وحاقد عـلى العرب، وعلى أهل البيت عليهم السـلام، عُـرف بسرقاته من إخوان الصفا وغيرهم، وقد رد العديد من العلماء والمختصين عليه.

ثم إنَّ لعلماء أبناء العامة عشرات الكتب في المهدي عليه السلام، منها:

١ـ (أبـو نعيم الأصفهاني) له ثلاثة كتب هي: «مناقب المهدي»، «نعت المهدي»، «الأربعون حديثًا في المهدي».

٢ـ (جلال الدين السـيوطي) له كتابان هما: «العرف الوردي في أخبار المهدي»، و«علامات المهدي».

٣ـ (حماد بن يعقوب الرواجني)، له كتاب «أخبار المهدي».

٤ـ (ابـن حجر العسـقلاني)، له كتاب «القـول المختصر في علامات المهدي المنتظر».

٥ـ (محمد بن يوسـف الكنجي الشـافعي)، له كتاب «البيان في أخبار صاحب الزمان».

---

١ - الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٤٠٢.

٦ـ (الملا علي المتقي الهندي)، صاحب كتاب «كنز العمال»، له كتاب «البرهان في علامات مهدي آخر الزمان».

٧ـ (علي بن سلطان الهروي الحنفي)، له كتاب «المشرب الوردي في أخبار المهدي».

٨ـ (شهاب الدين الحلاوني الشافعي)، له منظومة أسماها بـ«القطر الشهدي في أوصاف المهدي».

٩ـ (محمد البلبيس الشافعي) شرح منظومة «القطر الشهدي»، بكتاب أسماه «العطر الوردي بشرح القطر الشهدي».

نعم، فإنَّ الشيخ (لطف الله الصافي) قد ذكر أسماء علماء أبناء العامة ممن قد قالوا بولادة الإمام المهدي عليه السلام، إذ قد ذكر منهم ما يقارب (٦٢) عالمًا[١]، وكذلك ما ذكره السيد (ثامر العميدي)، إذ قد ذكر ما يقارب من (١٢٠) عالماً[٢]، وكُتب ومصادر أخرى قد ذكرت ذلك.

لذا فقد قيل في الرد على (ابن خلدون): «وأنت لم تذكر لأحاديث المهدي علةً عن أحد من العلماء على عدم ثبوتها، إلا مجرد الدعوى من غير برهان ولا دليل، والمثبت مقدم على النافي، وإذا صح الخبر عن رسول الله وجزم بذلك إمام من أئمة أهل الحديث وجب علينا التصديق به

---

١ - راجع: لطف الله الصافي: منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر، ج٢، ص.ص.٣٧١-٣٩٢.

٢ - راجع: ثامر العميدي: دفاع عن الكافي، ج١، ص.ص.٥٦٩-٥٩٢.

والإيمان به وأنَّه حقٌّ كائنٌ لا محالة، وأحاديث رسـول الله الثابتة عنه أجل في صدورنا من أن نعارضها بأمثال (ابن خلدون) من لا يؤبه له ولا يُعد من العلـماء الأفاضل والأئمة الأماثل، بل ذكـر لي بعض الإخوان أنه إخباري صاحب تاريخ، قد شحن مقدمته بالطلاسم وأخبار المنجمين...، وقد ذكر أبو داود هذه الأحاديث في سـننه، ولم يذكر لها علةً ولا جرحها بشيء من الأمور التي تقدح فيها»[1].

مِيثُولُوجيَا الأَصلِ المَزْعُوم:

يقـول (محمد عابـد الجابري): «إن ميثولوجيـا الإمامة كانت من أجل الاحتفـاظ بالأمل، كانت من أجل تجنيد مخيـال الضعفاء»[2]. فهو يعدها أصلاً مزعومًا لا أساس له.

إنَّ «الإمامـة» قضيـة ثابتة في القـرآن الكريم، وقد أكـدت آيات القرآن الكريم عليها، فهل إنَّ القرآن الكريم -بحسب مدعى الجابري- «ميثولوجيا» و»أسـاطير»؟ وهل إنَّ القرآن الكريم قد طرح قضية الإمامة من أجل تجنيد مخيال الضعفاء؟ ولأجل ماذا يتم التجنيد؟

قَالَ سُـبْحَانَهُ و تَعَالَىٰ: ﴿*وَإِذِ ابْتَلَىٰٓ إِبْرَاهِيمَ رَبُّـهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّۖ

---

١ - سـليمان بن سـحمان: تنبيـه ذوي الألباب السـليمة عن الوقـوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة، ص٤٦.

٢ - محمد عابد الجابري: العقل السياسي العربي: محدداته وتجلياته، ص٢٩٦.

قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة :١٢٤].

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: **﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ۖ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾** [الأنبياء :٧٣].

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: **﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾** [الفرقان :٧٤].

يقول (محمد عابد الجابري): «المعارضة الشيعيَّة ستبقى محتفظةً بأهمّ العناصر المكونة لميثولوجيا الإمامة: الوصية، العلم السري، البداء، الغَيبة، الرجعة، المهدية...، وأخيراً وليس آخرًا التقية»[١].

إنَّ الأمور «السبعة» التي ذكرها (الجابري) ليست خاصةً بالشيعة فقط، ولا بالمعارضة الشيعيَّة كما يدَّعي، بل هي أمورٌ موجودةٌ في المنظومة الإسلامية ككل، والأدلة على وجودها كثيرة.

ثم إنَّ التقية قد قال بها علماء من أبناء العامة ولم ينكروها، وأوردتها كتب التفسير وغيرها من الكتب الأخرى[٢]، فلماذا ينكرها الجابري،

---

١ - محمد عابد الجابري: العقل السياسي العربي: محدداته وتجلياته، ص٢٩٧.

٢ - راجع: الفخر الرازي: تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، ج٨، ص١٣، وابن الوزير اليماني: إيثار الحق على الخلق، ص.ص.١٤١ـ١٤٢، و أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج٣، ص١٣٦.

ويعدها تهمة تُوجه إلى الشّـيعة فقط، بينما هي موجودة في القرآن الكريم، وفي كتب أبناء العامة؟!

فمن آيات القرآن الكريم الدالة على ذلك:

قَـالَ -تَعَـالَىٰ-: ﴿لَا يَتَّخِـذِ الْمُؤْمِنُـونَ الْكَافِرِيـنَ أَوْلِيَـاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِـينَ ۖ وَمَـنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِـنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران :٢٨].

قَـالَ -تَعَالَىٰ-: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْـدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِنْ مَـنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل :١٠٦].

قَـالَ -سُـبْحَانَهُ و تَعَـالَىٰ-: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِـنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُـمُ إِيمَانَـهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُـلًا أَنْ يَقُـولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَـاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًـا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۖ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُـمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُـمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر :٢٨].

ثم يقول «الجابري» عن الشـيعة: «فإنَّ الحقيقية عندهم ليست الحقيقة الدينية، ولا الحقيقة الفلسـفية، ولا الحقيقة العلميـة، بل الحقيقة عندهم هي الرؤية السحرية للعالم التي تكرس الأسطورة»[1].

١ - محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي، ص٣٧٩.

المبحث الثاني:
اتهام النصّ الإمامي الخاص بقضية الإمام المهدي عليه السلام بالهرمسية

إنَّ تهمة الهرمسية من أشهر التهم التي قال بها (محمد عابد الجابري) في نقده للنصّ وللتراث الإماميّ. يقول (محمد عابد الجابري): «القبائل التي لم تستطع أن تحارب بقوة السلاح حاربت بقوة الرمز بقوة الميثولوجيا، بتوظيف كل ما يساعد على التمسك به من أفكار وأطروحات سواء كان مصدرها يهوديًّا أو هرمسيًّا أو وثنيًّا»[١].

تُهم ثلاثة جاهزة في جعبة (الجابري): «اليهودية»، «الهرمسية»، «الوثنية» في نصه المتقدم. كما ويقول (محمد عابد الجابري): «يبقى بعد إثبات الصلة بين المتكلمين الشيعة وبين الموروث العرفاني الهرمسي، وهذه مسألة ليس من الصعب البتُّ فيها، على الرغم من افتقادنا لمؤلفاتهم»[٢].

يقول (أحمد محمد النمر): «يبقى منهج الجابري هو في الواقع تكريس لتلك الإشكاليات التي تصدى لمعالجتها الجابري بنقده للعقل العربي، ولكنه

---

١ - محمد عابد الجابري: العقل السياسي العربي: محدداته وتجلياته، ص٢٨٨.

٢ - محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي: دراسة تحليلية نقدية لنُظم المعرفة في الثقافة العربية، ص.ص.٣٢٦ـ٣٢٧.

أسـهم في تكريسـها الإقصائي أو التسـفيهي بلمزه وغمزه أو بنقلـه الانتقائي، أو بتحريفه لنصوصٍ استشـهد بها لا تسـهم في تصديق ادعائه لو سـلمت من التحريف، بل كانت تدل على النقيض، أو تحليله لواقع معين، وإغفاله وسكوته عن حادث أوضح وأبرز يدل على خلاف ذلك وبدلالة أهم على نقيض مدعاه، أو نسـبته لأمر ما لجهـةٍ لا تخصها، مع أنَّ الحقيقـة التاريخية خلافها»[1]. كما ويقـول (محمد عابـد الجابري): «الهداية التي خص اللـه بها أهل بيت النبي، فهـي تذكرنا بـالهداية التي ألزم هِرمس نفسـه القيام بهـا بعد أن رأى ما رأى في رؤياه الكشـفيَّة»[2]. إنَّ الهرمسية تقليد ديني وفلسفي مستقَى من كتابٍ منحولٍ يُنسب إلى هِرمس، وقد وضحنا في أوليات البحث ما يختص بالهِرمسية.

المَبْحَثُ الثَّالِثُ:
اتهَامُ النَّصّ الإمَامِيّ الخَاص بِقَضِيَّةِ الإمَامِ المَهدِي عَلَيهِ السَّلَام بِتُهَم مُتَعَدِدَةٍ

نقـف هنـا عند تهم أخـرى وجهت للنـص والتراث الإمامـيّ من قبل

١ - أحمد محمد النمر: الفكر الإمامي في نقد الجابري، ص.ص.٢٠ـ٢١.

٢ - محمـد عابد الجابري: بنية العقل العربي: دراسـة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، ص٣٢٨.

(محمد عابد الجابري)، ومن ذلك:

أ ـ تُهمَةُ ادِّعَاء النُّبُوَة:

وهي التهمة القديمة الجديدة، والتي كانت من مُخترعات أعداء الشيعة، إذ ليس لها أصل مطلقًا حتى عند غلاة الشّيعة.

يقول (محمد عابد الجابري): «مضمون الولاية عند الشّيعة، إنَّها نبوة الإمام، وهي مستمرة ولم تختم، ولن تختم إلا بعودة الإمام الغائب، الإمام الثاني عشر»[١].

فهذه مُدعيات استقاها (الجابري) من ابن عبد ربه الأندلسي (ت٣٢٨هـ) في كتابه «العقد الفريد»[٢]، ومن ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) في كتابه الموضوعات[٣]، ومن ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) في كتابه منهاج السنة النبوية[٤]. وهذا يرجعنا إلى التهمة المشهورة التي وُجهت وتُوجه إلى الشّيعة، ألا وهي «خان الأمين»، وذلك في إشارةٍ إلى ما نسبه جملةٌ من علماء أبناء العامة إلى الشّيعة، بأنَّ الشّيعةَ -بحسب زعمهم- يعتقدون بخيانة «جبرائيل» في إبلاغ الوحي، حيث أمره الله تعالى بإبلاغ الوحي

---

١ - محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، ص٣٣٠.

٢ - ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص٢٥٠.

٣ - ابن الجوزي: الموضوعات، ج١، ص٣٣٩.

٤ - ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج١، ص.ص.٢٧-٣٢.

إلى عـلي بن أبي طالـب، إلاَّ أنَّه قد خان في مهمتـه وأبلغه إلى محمد بن عبد الله، وعليه يكرر الشيعة بعد الانتهاء من صلاتهم عبارة «خان الأمين» ثلاث مرات!

إنَّ أساس هذه القضية منسوبٌ لطائفةٍ من اليهود يعتقدون بأنَّ جبرائيل قـد أُمر بجعل النبوة في رجل من اليهود، لكنَّه خان وجعلها في رجل آخر، لذا تجد بأنَّ اليهود يكرهون جبرائيل.

هذه التُّهمة نُقلت من اليهود ليتهم بها الشيعة، وقد ذكرها من أبناء العامة واتهم الشـيعة بها ابن عبد ربه (ت٣٢٨هـ)، وابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، والفخر الرازي (ت٦٠٦هـ) في تفسير الآية (٩٧) من سورة البقرة، وكذلك ابن تيمية (ت٧٢٨هـ).

ب ـ قَضِيَّةُ السّرداَبِ:

وهـي تهمة موضوعـة كذلك، وضعها أعـداء الشـيعة وجعلوها مثلبةً عليهم.

يقول (محمد عابد الجابري): «تذهب أفواج من الشـيعة الاثني عشرية كل ليلة إلى باب السرداب في مسـجد سـامرا، وقد أعـدوا مركبًا وعليهم السـلاح، فيقرؤنه السـلام، ويدعونه للخروج قائلين: بسم الله، يا صاحب الزمان أخرج، فقد ظهر الفساد وكبر الظلم، وقد آن أوان خروجك»[١].

---

١ - محمـد عابد الجابري: بنية العقل العربي: دراسـة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، ص٣٣٨.

نعم، فلقد ادَّعى جملة من كتاب أبناء العامة بأنَّ الشيعة يعتقدون أنَّ الإمامَ المهدي عليه السلام قد غاب في السرداب، وأنه يقيم فيه فترة غيبته، وأنَّه سيخرج منه في آخر الزمان[١]، وبأنَّ الشيعة يذهبون إلى السرداب كل يوم جمعة، ويأخذون معهم فرسًا مسرجًا ملجمًّا بعد الصلاة قائلين: يا إمام، باسم الله، ثلاث مرات[٢]، ومزاعم أخرى مشابهة لها[٣]. والظاهر أنَّ أول من قال بذلك هو ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ)، فهو أوَّل من قال بخروج الإمام المهدي من السرداب، فنسب ذلك إلى الشيعة زورًا وبهتانًا[٤]، ثم بقيت هذه التهمة تنتقل من كاتبٍ إلى آخر على مر السنين والقرون وتتطور حتى وصل الكلام إلى ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) ليقول إنَّ السرداب في الحِلة[٥]، وقال الزبيدي بأنَّ السرداب في الرَّي[٦].

علمًا أنَّ إجماع الإمامية بأنَّ الإمام المهدي عليه السلام سيظهر في مكة المكرمة، وعن ذلك، وفي الرد على مدعيه.

يقول الشيخ الأميني: «وفرية السرداب أشنع، والشيعة لا ترى أنَّ غيبة

---

١ - راجع: الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص١٧٣.
٢ - راجع: الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ج٢، ص٧٥.
٣ - راجع: المحلاتي: مآثر الكبراء، ج١، ص٢٨٨.
٤ - راجع: الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص١٧٣.
٥ - راجع: ابن خلدون: المقدمة، ص١٩٩.
٦ - راجع: الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ج٢، ص٧٥.

الإمـام في السرداب، ولا هم غيبـوه فيه، ولا أنَّه يظهر منه، وإنما اعتقادهم المدعوم بأحاديثهم أنَّه يظهر بمكة المعظمة تجاه البيت، ولم يقل أحد في الـسرداب: إنه مغيب ذلـك النور، وإنما سرداب الأئمة بسـامراء، وأنَّ من المطرد إيجاد السراديب في الدور وقاية من قائظ الحر، وإنما اكتسب هذا السرداب بخصوصه الشرف الباذخ لانتسابه إلى أئمة الدين، وأنَّه كان مُبوءًا لثلاثـة منهم كبقية مسـاكن هذه الدار المباركة، وهذا هو الشـأن في بيوت الأئمة عليهم السلام»[1].

بذلك يتوضح الكـذب الصريح بخصوص الـسرداب، ومن أثار تلك الكذبة، ومن جعلها شبهة ملتصقة بالشيعة.

ت ـ الاِتبَاعُ العَاطِفِيُّ:

ثم يقول (الجابري) إنَّ قضية الإمام المهدي عليه السلام عاطفية، وهي تُثار ليتعلق «الأتباع» -بحسب قوله- بذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فيقول (محمد عابد الجابري): «يبدو أنَّ الفكرة الشـيعيَّة الأساسيَّة التي بنوا عليها دعوتهم هي فكـرة "المهدي" مع ما يرتبط بها من توجيه الأتباع إلى التعلق بذرية النبي»[2].

---

١ - الغدير، الأميني: ٣: ٣٠٨.

٢ - تكويـن العقـل العربي، محمد عابد الجابري، مركز دراسـات الوحدة العربية، بيروت ـ لبنان، ط١٤، ٢٠١٩م: ٢٦٩.

أَوَّلًا: إنَّ التعلق جاء في القرآن الكريم

قَالَ جَلَّ في عُلاه: ﴿ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۗ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ۗ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى:٢٣]

قَالَ اللَّهُ جَلَّ في عُلاه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وعَلَا: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

إنَّ هذه الآيات القرآنية المباركة تؤكد على مكانة أهل البيت عليهم السلام، تضاف لها أحاديث عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم تختص بذلك كذلك.

إنَّ الأمر الإلهي يقتضي التعلق بذرية النبي صلى الله عليه وآله، ومن لم يفعل ذلك -بحسب ما تقدم- فإنَّه لا يُعد من المسلمين، وليس من أتباع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

إنَّ الله تعالى في آياته المباركة، وفي الأحاديث الواردة على لسان نبيه الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قد أمرنا باتباع أهل بيت النبوة عليهم السلام.

ث ـ تُهمَةُ السَبَئِيَّة:

لقد كَال (محمد عابد الجابري) شتى التهم لقضية الإمام المهدي عليه السلام، لكونها -بحسب أيديولوجيته- قضيةً شيعيَّةً، لذا فإنَّ عليه محاربتها واتهامها وتشويهها.

يقول (محمد عابد الجابري): «إنَّ السبئية هم أول من أطلق على علي بن أبي طالب لقب 'وصي'، والمقصود هو أنَّ النبي أوصى له بالإمامة من بعده»[١].

من هم «السبئية»؟ وهل لهم وجود واقعي أم أنهم كذبة تاريخية ككثيرٍ من الأكاذيب التي وردت في كتب التاريخ، وبالخصوص كتاب «تاريخ الطبري»؟

فإنَّ كل كلامه عن الشيعة ينقله عن الطبري، ويردد في كتابه «يذكر الطبري»، «يقول الطبري»، «قال الطبري»، «يُنقل عن الطبري»، «ورد عن الطبري»، و(عن الطبري).

إن من المعلوم ما هو منهج الطبري (ت٣١٠هـ) في مجاملة الرأي العام، فهو يقول يعتذر عن ذكر جملة من الأخبار، وذلك «لأمور لا تحتملها العامة»[٢]، أو «أمور شنيعة كرهت ذكرها»[٣].

إنَّ (الطبري) يستعين في نقله بروايات (سيف بن عمر التميمي)، والذي

---

١ - محمد عابد الجابري: العقل السياسي العربي: محدداته وتجلياته، ص٢٨٠.
٢ - راجع: الطبري: تاريخ الطبري، ج٤، ص.ص.٢٨٣-٢٨٦.
٣ - راجع: الطبري: تاريخ الطبري، ج٤، ص٥٥٧.

اتفقت مصادر ترجمته المختلفة على وصفه بالكذب والوضع والتزوير والزندقة، علمًا أنَّ طريقه إلى أخبار (سيف بن عمر التميمي) طريقٌ واهٍ جدًّا، إذ هو مؤلَّف من رجلين: أولهما (السري): وهو مطعون، وثانيهما: (شعيب بن إبراهيم) وهو رجل مجهول.

كما وأنَّ (الطبري) في تاريخه لم يذكر الحدث التاريخي المهم، ألا وهو موقف النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في غدير خم وخطبته الشهيرة هناك، بل لم يورد ذكرها مطلقًا في تاريخه.

كما وأنَّه أول من ذكر الشخصية المجهولة (عبد الله بن سبأ) اعتمادًا على رواية (سيف بن عمر التميمي)، إذ لا نجد أحدًا قال بتلك الشخصية ممن هم من طبقة (سيف)، حتى عند مؤرخ بني أمية (عوانة بن الحكم).

إنَّ تاريخ الطبري مليء بالإسرائيليات والأساطير والانتقائية للرواة دون الروايات، وتركيزه على التاريخ السياسي وحده فقط. إنَّ المتتبع للإشكاليات التي أثيرت على تاريخ الطبري، يلحظ أنه تاريخ أيديولوجي بامتياز، ولم يكن فيه إنصاف، بل هو كتاب قد كُتب لإرضاء الحكام، والسلاطين، وولاة الأمر.

جـ ـ النَّقْلُ عَنْ تُهَمِ المُستَشرِقِينَ لِلإِمَامِيَّةِ:

يقول (محمد عابد الجابري): «كانت فكرة المهدي في مقدمة الأفكار التي وظَّفها المختار»[1].

١ - محمد عابد الجابري: العقل السياسي العربي: محدداته وتجلياته، ص٢٨٦.

وللرد عليه نقول:

١ـ هي قضية واردة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

٢ـ لقد كانت مدعاة ذكر واهتمام كل من يؤمن بالثوابت الإسلامية.

٣ـ كانت الأساس في انطلاق الحكومة العباسية، إذ قد وظفتها الحكومة العباسية على خلاف النصوص النبوية، لكنَّ الجابري لم يذكر ذلك مطلقًا.

وقوله هذا، مجرد نقل عن المستشرقين الذين يرمون بالتُّهم على النصّ الإماميّ، ومنها أنَّها فكرة من عند (المختار الثقفي).

كـما ويقول (محمد عابد الجابري): «وفكرة المهدي هذه، هي كما هو معروف، من أصل يهودي»[1].

وردًّا عليه نقول:

أَوّلًا: الموعـود (المهـدي) موجـود في الأديان عمومًـا، وفي الأديان السماوية بشكلٍ خاص، واليهوديَّة دين سماوي، ونبيها هو نبي الله موسى عليه السلام، وكتابها السماوي هو التوراة.

ثَانِيًـا: قضية الإمام المهدي عليه السـلام ذكرها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في أحاديث كثيرة.

ثَالِثًا: القول بأنَّ المسـلمين، أو الشـيعة قد أخذوهـا من «اليهودية» هو قول أكثر المستشرقين، وقد نقل (الجابري) ذلك منهم من دون أي فهم أو

---

١ - محمد عابد الجابري: العقل السياسي العربي: محدداته وتجلياته، ص٢٨٧.

تحقيق أو إمعان نظر، ومن ذلك:

١ـ اعتبر المستشرق المجري (إجانتس جولدتسيهر) عقيدة انتظار المخلّص عند الشيعة، وهو الإمام المهدي مُتفقةً مع انتظار رجعة عيسى، إذ يقول: «ومن الثابت أنَّ الخُطوات الأولى تتفق مع انتظار رجعة عيسى الذي سيعمل مثل المهدي على إقامة معالم العدل»[١].

٢ـ أرجع (جولدتسيهر) فكرة الإمام المهدي المنتظر عند الشيعة والمتعلقة بشخصية الإمام المهدي إلى أصولٍ يهوديَّة[٢].

٣ـ قال المستشرق (جيمس دارمستيتير) بأنَّ فكرة المنقذ والمخلص موجودة قبل الإسلام عند ديانات سابقة، فأخذ المسلمون الفكرة من الديانات الثلاث «اليهودية، والمسيحية، والزرادشتية»، وقد ذكر ذلك في كتابه «المهدي الماضي والحاضر»[٣]، يريد بذلك بأنَّ عقيدة المسلمين بالإمام المهدي عليه السلام ليست أصيلة، قال بذلك المستشرق الأمريكي (فيليب حتي)[٤].

٤ـ زعم المستشرق (دوايت رونلدسن) في كتابه "عقيدة الشيعة» بأنَّ فكرة الإمام المهدي ليست سماوية أو من قبل الوحي، بل هي قضية نفسية

---

١ - إجانتس جولدتسيهر: العقيدة والشريعة في الإسلام، ص.ص.٢١٧ـ٢١٨.
٢ - إجانتس جولدتسيهر: العقيدة والشريعة في الإسلام، ص٣٩٩.
٣ - جيمس دارمستيتير: المهدي الماضي والحاضر، ص.ص.١١ـ ١٥.
٤ - دائرة المعارف الكاثوليكية، ج٩، ص٤٨.

واجتماعية، ظهرت بسبب الظلم الذي تعرض له الشيعة عبر التاريخ[١]. أو أنها فكرة خيالية، ليست هناك أدلة تثبتها، لا من القرآن ولا من السنة[٢].

٥ـ قال المستشرق (فان فلوتن) في كتابه "السيادة العربية»: «ولا يفوتنا أن نذكر أولاً أنَّ ذلك المثل الأعلى للعدالة والمساواة قد ظلَّ وهمًا من الأوهام، حتى أنَّ حاجة الشرقيين اليوم إلى مهدي يملأ الأرض عدلاً لم تكن أقل منها في عهد بني أمية... ولم يكن جور النظام العباسي وعسفه منذ قيام الدولة العباسيَّة بأقل من النظام الأموي المختل، فحفز النفوس إلى التمسك بعقيدة المهدي والتطلع إلى ظهوره لتخليصها من قسوة ذلك النظام الجديد وجوره»[٣].

٦ـ ذكر المستشرق (يوليوس فلهاوزن) في كتابه "أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام: الخوارج والشيعة» عدة أمور عن الإمام المهدي، وهي تتردد بين أنَّه من صنع الغلاة، وأنَّها تُشابه قضية يهودية أو أخذت من اليهود[٤]، وما شاكل ذلك من شبهات رددها (الجابري) ومن شاكله.

---

١ - دوايت رونلدسن: عقيدة الشيعة، ص.ص. ٢٣١ و٢٤٧.

٢ - دوايت رونلدسن: عقيدة الشيعة، ص٢٣١.

٣ - فان فلوتن: السيادة العربية، ص.ص.١١٨ و١٣٢.

٤ - راجع: يوليوس فلهاوزن: أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام: الخوارج والشيعة، ص.ص. ياء في المقدمة و١٨٨و٢٠٤ و٢٠٦ و٢٤٦ مع الهامش.

لذا فإن «المشكلة الأساسية؛ هي محاولة المستشرقين تهميش وإنكار وجود هذه العقيدة عند المسلمين، فهم يحاولون إن لم يستطيعوا أن ينكروها أو يهمشوها، أن يُضفُوا عليها ضبابية، ويعملون على تشويشها عند عقل المتلقي، عن طريق تعمد الفهم الخاطئ والقراءة غير الصحيحة، لما تحتويه مادة هذه العقيدة. هؤلاء يحاولون تبعيض وتشتيت وتقطيع وتفصيل هذه المسألة العَقَديَّة بحسب أغراضهم الدفينة وأهوائهم ونزعاتهم التبشيرية والعنصرية والفئوية... إنَّ أغلب المستشرقين قد أظهروا عقيدة المهدي المنتظر كأنَّها مختصة فقط بفئة معينة من المسلمين وهم الشّيعة وهذه المسألة تكمن وراءها أغراض وأهداف من أهمها وأخطرها أن يوقعوا شرخًا كبيراً في النسيج الإسلامي، عن طريق بيان أنَّ هذه العقيدة شاذة وغريبة عن المفردات الإيمانية الأخرى، ومن ثمَّ فإنَّ من يعتقد ويؤمن بها، سيكون غريبًا عن حظيرة الإسلام والمسلمين، وليس منهم»[١].

رَابِعًا: إنَّ شُبهات (الجابري) قد أخذها من الشبهات التي طرحها (ابن خلدون) (ت٨٠٨هـ) حول قضية الإمام المهدي عليه السلام، ومن ذلك:

١ـ إنَّ (ابن خلدون) قد قال بتضعيف تسعة عشر حديثًا من أحاديث الإمام المهدي عليه السلام، من مجموع ثلاثة وعشرين حديثًا، فضعف ما ذكرنا، وسكت عن الباقي.

---

١ - رباح صعصع عنان: المهدي المنتظر رؤية استشراقية، ص٧.

٢ـ إنَّ (ابن خلدون) ذكر سبعة علماء من علماء أبناء العامة ممن ذكروا أحاديث الإمام المهدي، وترك ما يقارب (٤٨) عالماً آخر ممن تناولوا هذه القضية.

٣ـ أورد (١٤) صحابيًّا ممن نقلت عنهم الأحاديث الخاصة بالإمام المهدي، وترك ما يقارب (٣٩) منهم ممن نقل نفس القضية.

٤ـ لقد تعرض (أحمد بن محمد الصديق) في كتابه «إبراز الوهم المكنون من كلام أبن خلدون: أو المرشد المبدي لفساد طعن ابن خلدون في أحاديث المهدي»، في نقله لكلام (أبو الفيض الشافعي)، إذ يقول: «في الناس اليوم ممن يخفى عليه هذا التواتر، ويجهله، ويبعده عن صراط العلم جهله، ويصده من ينكر ظهور المهدي وينفيه، ويقطع بضعف الأحاديث الواردة فيه، مع جهله بأسباب التضعيف، وعدم إدراكه معنى الحديث الضعيف، وتصوره مبادئ هذا العلم الشريف، وفراغ جرابه من أحاديث المهدي الغنية -بتواترها- عن البيان لحالها والتعريف، وإنَّما استناده في إنكاره مجرد ما ذكره ابن خلدون في بعض أحاديثه من العلل المزورة المكذوبة، ولمز به ثقات رواتها من التجريحات الملفقة المقلوبة. مع أنَّ ابن خلدون ليس له في هذه الرحاب الواسعة مكان، ولا ضرب له بنصيب، ولا سهم في هذا الشأن، ولا استوفى منه بمكيال ولا ميزان. فكيف يعتمد فيه عليه، ويرجع في تحقيق مسائله؟! فالواجب: دخول البيت من بابه، والحق: الرجوع في كل فن إلى أربابه، فلا يقبل تصحيح أو تضعيف إلا من حفاظ الحديث ونقاده»[1].

---

١ - أحمد بن محمد الصديق: إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون، ص٤٤٣.

٥ـ ما عُرف من سرقة (ابن خلدون) لتراث (إخوان الصفا)، ونسبته إلى نفسه، وبالخصوص في كتابه «المقدمة»، يقول الكاتب الأستاذ (محمود إسماعيل) عن عنوان كتابه «نهاية أُسطورة» في نقد (ابن خلدون): «إنَّ عنوان هذا الكتاب سيفزع القارئ لأول وهلة. بل سيظل القارئ متوجسًا في مصداقيته وهو يطالع صفحاته حتى يصل إلى المبحث الخاص بالجانب الأخلاقي عند ابن خلدون، عندئذٍ سوف يقف -ربما لأول مرة- على جانب خفي في شخصية ابن خلدون طالما عزف الدارسون عن إبرازه وهو لا أخلاقيته، تلك التي كانت من وراء سطوه على آراء إخوان الصفا ونسبتها إلى نفسه. ولسوف تتبدد الهالة الزائفة التي نسجها هؤلاء الدارسون وتوجوا بها المعجزة الخلدونية عندما يطالع القارئ المبحث الخاص بما نقله ابن خلدون عن إخوان الصفا. إذ إنَّ إمام المؤرخين وأول فيلسوف للتاريخ ومؤسس علم الاجتماع حين أقدم على فعلته تلك؛ كان متسقًا مع نفسه ومع عصره. مع نفس جُبلت على المكيافيللية وشبت عليها لتتأصل من خلال حياة مضطربة. وحين فشلت في ذلك، انصرفت إلى ميدان المعرفة تبحث عن شهرة بأية وسيلة؛ حتى لو كانت السطو على إنجازات الآخرين»[1].

ففي هذا الكتاب يوضح الأستاذ (محمود إسماعيل) سرقات (ابن

١ - محمود إسماعيل: نهاية أسطورة: نظريات ابن خلدون مقتبسة من رسائل إخوان الصفا، ص٩..

خلـدون) من «إخـوان الصفا»، وما كتـاب «المقدمـة»، أي: «مقدمة ابن خلـدون»، إلا سرقـة علنيـة «موصوفـة» لـتراث إخـوان الصفـا العلمي والمعرفي.

ح ـ أَيدُيولُوجيَا المَسَاكِين:

يقـول (محمـد عابـد الجابـري): « تنطوي فكـرة المهـدي إذن على أيديولوجيـا كاملة، أيديولوجيا المسـاكين الذين لا يملكـون القدرة على رفع الظلم الواقع عليهم، فينتظرون الخلاص من شـخص يبعثه الله ليملأ الأرض عـدلاً بعـد أن مُلئت جَورًا. ولابدَّ من القول هنـا إنَّ فكرة المهدي -اليهودية الأصل- لا بدَّ أن تكون قد انتقلت إلى الكوفة من القبائل اليمنية، خاصـةً قبيلة كنـدة التي كانت تنتظر ظهـور القحطاني الـذي يعيد إليهم ملكهـم. وقد لُقبوه -ربمـا بالكوفة- بـالمنصور. وقـد وظف المختار هذا اللقب فجعل شعاره في حروبه: يا منصور أمِت»[1].

ردًّا عليه نقول:

أَوَّلًا: أنَّ شـعار «يا منصور أمت» قد اسـتخدمه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسـلم في بعض حروبه[2]، وكذلك الإمام علي عليه السـلام في

١ - محمد عابد الجابري: العقل السياسي العربي: محدداته وتجلياته، ص٢٨٧.

٢ - المقريزي: إمتاع الأسـماع، ج٩، ص٢٧٦. البلاذري: أنسـاب الأشراف، ج١، ص٢٩٣.

معركة الجمل[١]، واستعمله مسلم بن عقيل بن أبي طالب[٢]، واستخدمه المختار الثقفي، واستُخدم في ثورة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، و كذلك استُخدم من قبل أبو مسلم الخراساني[٣].

ثَانِيًا: هذا الشعار قد يقال بشكل «يا منصور أمت أمت»، أو قد يقال «أمت أمت».

ثَالِثًا: يقال هذا الشعار في الحروب، وهو نوع من أنواع الفأل الحَسن، ينطوي على التفاؤل بتحقيق النصر في الحرب[٤].

رَابِعًا: يقال بأنَّ هذا الشعار يستخدمه المقاتلون حتى يعرف بعضهم بعضًا، إذا كان القتال في الليل[٥].

إنَّ (الجابري) وفي المقطع الأول يقول: «تنطوي فكرة المهدي إذن على أيديولوجيا كاملة أيديولوجيا المساكين الذين لا يملكون القدرة على رفع الظلم الواقع عليهم، فينتظرون الخلاص من شخص يبعثه الله ليملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جَوراً».

أليس هو يؤمن بذلك، وأنَّ أيديولوجيته بخصوص الحكام الظلمة

---

١ - ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح نهج البلاغة، ج١، ص٢٦٢.

٢ - الطبري: تاريخ الطبري، ج٥، ص٣٦٨. وابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص١٥٤.

٣ - البلاذري: أنساب الأشراف، ج٩، ص٣١٧.

٤ - الشيخ المفيد: الإرشاد، ص١٠٥.

٥ - الشيخ محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج١٩، ص١٦٤.

قائمة على نوع أقل وأدنى من ذلك بكثير.

إذ يقول الجابـري: «ما هي التطورات التي يمكن أن تحدث في الدول المسـماة عربيـة، كل واحدة على حدة، خلال عشرين سـنة المقبلة؟ بعد البحث والتقصي عما قد يكون باقيًا، لم أجد إلا الجانب البيولوجي وحده، أي العرب ككائنات بيولوجية. وهنا قفزت إلى ذهني حقيقة لا يتطرق إليها الشك، حقيقة تفرض نفسها فرضًا لكونها من نواميس الحياة. هذه الحقيقة هي أنَّه خلال العقدين القادمين سـيضطر معظم رؤساء الدول العربية -إن لم نقل كلهم- إلى مغادرة كراسـيهم بحكم الوفاة. ذلك أنَّ أعمار معظمهم ستنتهي في العشرين سنة القادمة بحكم حتمية العمر الطبيعي الذي خصَّ اللـه به الإنسـان. وإذ اختفى الرؤسـاء العرب الحاليـون، أو ثلثاهم على الأقل، خـلال العقدين القادمين، بحكم المـوت الطبيعي وحده، فإنَّه من المرجح جدًّا أنَّ أمورًا كثيرة ستصبح قابلة للتغيير»[١].

فهـو إذن يؤمن بهذه النظرية التخديرية والمخياليـة واللامعقولة والتي تسبب الخنوع للشعوب.

وهـذا الكلام المتقـدم ملـزم ولازم للجابري، لأنه -هـو- وضع قاعدة تقول: «إنَّ المثقف لا ينسب إلى ثقافة معينة إلا إذا كان يفكر داخلها»[٢].

إنَّ الجابـري يتبنى نظرية «انتظار موت الظلمة»؛ أي: أن ننتظر ونتحمل

١ - محمد عابد الجابري: المشروع النهضوي العربي: مراجعة نقدية، ص١٦٣.
٢ - محمد عابد الجابري: تكوين العقل العربي، ص١٣.

الظلم حتى يموتوا، أو تموت الشعوب؟!

بهذا الصدد يقول الدكتور (علي حسن هذيلي): «إنَّ الجابري مكلفٌ بإيصال رسالة محددة هي: أنَّ الثورة على هؤلاء تعني الثورة على أمريكا، وأمريكا لن تسكت عندما يُثار عليها، والحل؟ الحل، كما قال مسبقًا: عليكم أن تصبروا عشرين أو تسعين سنةً، لأنَّ الموت آتٍ لهؤلاء الحكام لا محالةَ، وعندئذ -فقط- سيتحقق التغيير الذي تطلبونه، أمَّا إذا استمر الحال على ما هو عليه، فاصبروا، إنَّ الله مع الصابرين»[1].

إنَّه صبر موهوم، أو هو الوهم على شكل صبر، وما شاكله، يبيعه الجابري على أتباعه، والمتأثرين بأفكاره، بعد أن باعه للحكومات التي استفادت من ذلك، وجعلت (الجابري) كاتبًا مشهورًا.

أمَّا في المقطع الثاني يقول الجابري: «ولا بدّ من القول هنا إنَّ فكرة المهدي -اليهودية الأصل- لابدَّ أن تكون قد انتقلت إلى الكوفة من القبائل اليمنية، خاصة قبيلة كندة التي كانت تنتظر ظهور القحطاني الذي يعيد إليهم ملكهم، وقد لقبوه -ربما بالكوفة- بالمنصور. وقد وظف المختار هذا اللقب فجعل شعاره في حروبه: يا منصور أمِت»

علمًا أنَّها قضيةٌ إسلاميةٌ بكل معنى الكلمة، ووصلت الأحاديث عنها إلى حد التواتر، عند جميع المدارس الإسلامية.

---

١ - علي حسن هذيلي: المثقف التكفيري؟ محمد عابد الجابري أُنموذجًا: قراءة في فكر الدكتور محمد عابد الجابري، ص١٠٥.

كما ويقـول (محمد عابـد الجابري): «ولابـدّ من الانتبـاه هنا إلى أنَّ فكرة المهدي لا تؤدي دورها كمحرض أيديولوجي إلا في حال السـقوط والفشـل، فهي وسـيلة للحيلولة بـين الناس وبين اليأس، وسـيلة تربطهم بزعيم رمز لم يسـتطع أن يحقق للناس ما كانوا يأملونه منه، ولكي يتجنبوا بل يهربوا من اليأس/ المأسـاة الذي ينتج عن الاعتراف بالفشـل فقالوا إنَّه سيعود»[١].

وهذا نقل من المستشرقين، وسرقة لأفكار غيره ممن انتقد قضية الإمام المهدي عليه السـلام، من ابن خلدون، وحتى كتابات المسـتشرقين، وقد بيَّناه مسبقًا.

خ ـ مَسْأَلَةُ الرَّجْعَةِ:

يقول (محمـد عابد الجابري): «ومـن هنا ارتباط فكـرة الرجعة بفكرة المهدي. فالرجعة هي رجعة المهدي ليحقق ما لم يستطع قبل تحقيقه...، وفكرة الرجعة هذه فكرة يهودية كذلك»[٢].

وردًّا عليه نقول:

هناك آيات قرآنية تدل على الرجعة بألفاظ أخرى:

قَالَ سُبْحَانَهُ و تَعَالَىٰ: ﴿**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ**﴾ [البقرة :٥٥]

---

١ - محمد عابد الجابري: العقل السياسي العربي: محدداته وتجلياته، ص٢٨٧.

٢ - محمد عابد الجابري: العقل السياسي العربي: محدداته وتجلياته، ص٢٨٧.

قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ۖ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة :٢٥٩].

ثَالِثًا: وردت في الأحاديث والكتب في المدرسة السُّنية:

١ـ عن سيرة ابن هشام: «قال عمر بن الخطاب: إنَّ رسول الله ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه، كما ذهب موسى بن عمران، فغاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع بعد أن قيل قد مات، والله ليرجعن رسول الله، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أنه مات»[١].

٢ـ ألف (ابن أبي الدنيا) المتوفى (٢٨١هـ) كتابًا بعنوان «من عاش بعد الموت».

٣ـ أفرد (أبو نعيم الأصفهاني) في كتابه «دلائل النبوة» بابًا في معجزات الرسول في إحياء الموتى.

٤ـ أفرد (السيوطي) في كتابه «الخصائص الكبرى» بابًا في معجزات

١ - ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص٦٥٥. ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٢، ص٢٩٩.

الرسول في إحياء الموتى.

٥ـ وكذلك (ابن حجر العسقلاني) في كتابه «تهذيب التهذيب»، قال: بأن زيد بن حارثة، والربيع بن خراش، ورجلاً من الأنصار قد تكلموا بعد الموت[١].

رَابِعًا: توضيح المراد بـ«الرجعة»:

١ـ إنَّ الرجعة من اعتقادات الشيعة غير الضرورية، بمعنى أنَّ منكرها لا يخرج عن المذهب الشّيعي، فيقول الشيخ (محمد حسين آل كاشف الغطاء): «ليس التدين بالرجعة في مذهب التشيُّع بلازم، ولا إنكاره بضار»[٢].

٢ـ الرجعة: تعني رجوع الأموات، وهم على قسمين: المؤمنون الخلص، والكفرة الفجرة، فيرجع المؤمنون للتمتع بحكومة العدل الإلهي على يد الإمام المهدي عليه السلام، وأمَّا الكفرة الظلمة فيخاصمون ويحاكمون ويحاسبون.

٣ـ إنَّ الرجعة جانبٌ مكملٌ لفكرة الإمام المهدي عليه السلام في الإسلام، فهما يشتركان بمضمون واحد، وهو: انتصار العدالة واندحار الباطل في آخر الزمان.

---

١ - ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، ج٣، ص٤١٠.

٢ - محمد حسين آل كاشف الغطاء: أصل الشيعة وأصولها، ص١٦٧.

خَامسًا: أحاديث تُبين المراد بالرجعة:

١ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: «والله لا تذهب الأيام والليالي حتى يحيي الله الموتى ويميت الأحياء، ويرد الحق إلى أهله، ويقيم دينه الذي ارتضاه لنفسه»[١].

٢ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: "إنَّ الرجعة ليست بعامة، وهي خاصة لا يرجع إلا من محض الإيمان محضًا أو محضَّ الشرك محضًا»[٢].

د ـ وَسِيلَةٌ لِرَفضِ الهَزِيمَةِ:

يقول (محمد عابد الجابري): «إنَّ فكرة المهدي ليست فكرة دينية، وإنما هي وسيلة لرفض الهزيمة والانهيار، وسيلة للتمسك بالأمل. إنَّ الضعفاء وبسطاء الناس يربطون مطامحهم وآمالهم بأشخاص، برموز والتمسك بالأمل والرجاء في التخلص من الظلم يقتضيان التمسك بالرمز بعناد»[٣].

ردًّا عليه نقول: أَوَّلًا: هي فكرة دينية بكل معنى الكلمة، فالمهدي من «الهدى».

قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ**﴾ [الأنبياء: ٧٣]

قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾ [السجدة: ٢٤].

---

١ - الشيخ محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٥٣، ص١٠٢.

٢ - الشيخ محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٥٣، ص٣٩.

٣ - محمد عابد الجابري: العقل السياسي العربي: محدداته وتجلياته، ص٢٨٨.

الخَاتِمَةُ

في هذه الخاتمة نوجز أمورًا مهمةً هي:

١ـ إنَّ الفكر الحداثي هو فكر: إقصائي، انتقائي وعدواني.

٢ـ إنَّ تعاملَ الحداثيين العرب عمومًا، و(محمد عابد الجابري) خصوصًا هو تعاملٌ لا يعدو ثلاثة تعاملات: الإقصاء، الانتقائية، الاتهام بتهم كـ: باطني، هِرمسي، لامعقول، سحري، أسطوري وخرافي.

٣ـ إنَّ النصَّ عند الإماميَّة يُقسم إلى قسمين: الأول: نص معصوم: ويشمل القرآن الكريم، وأحاديث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأحاديث الأئمة المعصومين عليهم السلام. الثَّاني: نص غير معصوم: ويشمل كلام، وشروح، وأحاديث علماء الشيعة وأدباءهم ومتحدثيهم.

٤ـ إنَّ تعامل (محمد عابد الجابري) مع النص الإمامي الخاص بالإمام المهدي عليه السلام لم يخرج عن الرؤية الحداثية في إقصاء واتهام هذا النص بشتَّى التُّهم.

٥ـ إنَّ كلَّ إشكالات (محمد عابد الجابري) حول النص الخاص بالإمام المهدي عليه السلام قد أخذها من كتاب أبناء العامة المنتقدين

لهـا كـ(ابـن تيمية، وابن خلدون) ومن شـاكلهما، وأخرى قـد أخذها من مستشرقين منكرين ومعادين لهذه الفكرة، وقد أوردناهم في هذا البحث.

٦ـ إنَّ قضية الإمام المهدي عليه السـلام قضيةٌ تاريخيةٌ ممتدةٌ وشاهدةٌ على كل العصور، وليست قضية عائمة في المستقبل.

٧ـ مـن الخطأ اختزال القضية المهدوية بمدرسـةٍ دينيةٍ أو مذهبٍ دينيّ معينٍ.

٨ـ إنَّ قضيـة الإمام المهدي عليه السـلام هي القاعدة المشـتركة التي تقـارب المسـلمين فيما بينهم، وتمنـح لوحدتهم المسـتقبلية معنى زاخر بالأمل بعد كل هذا الانسداد في العقل وبعد كل هذا التشاؤم.

٩ـ إنَّ أكـبر المعضلات هـو حصر قضية الإمام المهدي عليه السـلام بالشّيعة الإماميَّة فقط.

١٠ـ إنَّ قضية الإمام المهدي عليه السلام هي قضيةٌ عالميةٌ بامتيازٍ.

١١ـ إنَّ الدعوات المهدويةَ ليسـت دليلاً على بطلان أصل القضيةِ، إذ إنَّ الكثير قد ادَّعى النبوة، ولم يكن ذلك دليلاً على بطلانها.

١٢ـ إنْ كانـت أحاديث القضية المهدويـة ضعيفة، فهل نجَى أي باب فقهي أو عقائدي أو تاريخي من ذلك؟

المَصَادِرُ وَالمَرَاجِعُ

■ ابـن أبي الحديد المعتزلي: شرح نهـج البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٨هـ.

■ ابـن القيم الجوزية: المنار المنيـف في الصحيح والضعيف، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب ـ سورية، ط١، ١٩٧٠م.

■ ابـن جرير الطـبري: تاريخ الطبري، دار المعـارف، القاهرة ـ مصر، ط٢، ١٣٨٧هـ.

■ ابـن حجـر العسـقلاني: تهذيـب التهذيـب، مكتبـة المطبوعـات الإسلامية، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٢م.

■ أبـو الفرج ابن الجـوزي: الموضوعات، المكتبة السـلفية، المدينة المنورة، ط١، ١٣٨٦هـ.

■ إجانتس جولدتسيهر: العقيدة والشريعة في الإسلام، تعريب: محمد يوسف موسى، دار الكاتب المصري، ط١، ١٩٤٦م.

■ أحمد بن محمد الصديق: إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون، مطبعة الترقي، دمشق ـ سورية، ١٣٤٧هـ.

■ أحمد بن يحيى البلاذري: أنساب الأشراف، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٨هـ.

■ أحمد محمد النمر: الفكر الإمامي في نقد الجابري، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.

■ إدريس هاني: خرائط أيديولوجية ممزقة، الانتشار العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٩م.

■ إدريس هاني: كفى ثقافة طائفية ومثقفون طائفيون، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٩م.

■ إسرائيل شاحاك: الديانة اليهودية وتاريخ اليهود، إسرائيل شاحاك، ترجمة: رضى سلمان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ـ لبنان، ط٤، ١٩٩٧م.

■ إيمان أحمد الغزاوي: الحداثيون العرب وموقفهم من القرآن: ظاهرة الوحي أُنموذجًا، مجلة دراسات، علوم الشريعة والقانون، المجلد ٤٣، العدد ١، ٢٠١٦م.

■ تقي الدين ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦هـ.

■ تقي الدين المقريزي: إمتاع الأسماع، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ.

■ تيموثي فريك: متون هرمس، ترجمة: عمر الفاروق عمر، دار

الأجيال، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٩٨٨م.

■ جيمس دارمستيتير: المهدي الماضي والحاضر، نيويورك ـ الولايات المتحدة الأمريكية، ط١، ١٨٨٥م.

■ حسن الربيعي: المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، المكتبة القانونية، النجف الأشرف ـ العراق، ط١، ٢٠٠٩م.

■ حسين الإدريسي: محمد عابد الجابري ومشروع نقد العقل العربي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٠م.

■ حسين الشيخ: ديانات الأسرار والعبادات الغامضة في التاريخ، دار العلوم العربية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٩٦م.

■ حسين كوراني: في المنهج المعصوم والنص، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ.

■ دائرة المعارف الكاثوليكية، الولايات المتحدة الأمريكية، نيويورك، ط٢، ٢٠٠٢م.

■ دوايت رونلدسن: عقيدة الشيعة، تعريب: ع. م، مؤسسة المفيد للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٩٠م.

■ ذبيح الله المحلاتي: مآثر الكبراء في تاريخ سامراء، انتشار المكتبة الحيدرية، ط١، ١٤٢٦هـ.

■ زكي نجيب محمود: نظرية المعرفة، مؤسسة هنداوي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر، ط١، ٢٠١٨م.

■ شهاب الدين ابن عبد ربه: العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٤هـ.

■ عبد الإله بلقزيز: نقد التراث، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٤م.

■ عبد الحسين الأميني: الغدير، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ.

■ عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، مكتبة لبنان، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٩٢م.

■ عبد الرحمن بدوي: مذاهب الإسلاميين، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٩٦م.

■ عبد العزيز سعد الشهري: التناص، مركز الفكر المعاصر، ١٤٣٧هـ.

■ عبد الملك ابن هشام: السيرة النبوية، ابن هشام (ت٢١٨هـ)، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٨٦م.

■ عبدالله المامقاني: مقباس الهداية في علم الدراية، تحقيق: محمد المامقاني، مطبعة نكارش، قم ـ إيران، ط٢، ١٣٩٣هـ.

■ علم الدين ابن كثير: البداية والنهاية، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ١٩٩٥م.

■ علي بن يونس العاملي: الصراط المستقيم، المكتبة المرتضوية، طهران ـ إيران، ط١، ١٣٨٤هجري شمسي.

■ علي حسن هذيلي: المثقف التكفيري؟ محمد عابد الجابري أُنموذجًا: قراءة في فكر الدكتور محمد عابد الجابري، الروسم للصحافة والنشر والتوزيع، بغداد ـ العراق، ط١، ٢٠١٥م.

■ فان فلوتن: السيادة العربية، ترجمة: حسن إبراهيم حسن، مطبعة السعادة، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٩٣٤م.

■ فراس السواح: الأسطورة والمعنى: دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية، دار علاء الدين، دمشق ـ سوريا، ط٢، ٢٠٠١م.

■ كولن ولسن: المعقول واللامعقول في الأدب الحديث، ترجمة: أنيس زكي حسن، منشورات دار الآداب، بيروت ـ الأردن، ط٤، ١٩٧٨م.

■ مارتن اسلين: دراما اللامعقول، ترجمة: صدقي عبد الله حطاب، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ـ الكويت، ط٢، ٢٠٠٩م.

■ ماري إلياس؛ وحنان قصاب: المعجم المسرحي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ـ لبنان، ط٢، ٢٠٠٦م.

■ مجموعة مؤلفين، محمد عابد الجابري: دراسة النظريات ونقدها، مركز الدراسات الإستراتيجية، النجف الأشرف ـ العراق، ط١، ٢٠١٩م.

■ محمد ابن سعد: الطبقات الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٠هـ.

■ محمد أحمد الخطيب: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي،

مكتبة الأقصى، عمان ـ الأردن، ط١، ١٩٨٦هـ.

■ محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ.

■ محمد بن حجر القرني: موقف الفكر الحداثي العربي من أصول الاستدلال في الإسلام: دراسة تحليلية نقدية، مركز البيان للبحوث والدراسات، ط١، ١٤٣٤هـ.

■ محمد بن محمد (الشيخ المفيد): الإرشاد، مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، قم ـ إيران، ط٢، ١٤١٤هـ.

■ محمد بن يعقوب الكُليني: الكافي، منشورات الفجر، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ.

■ محمد حسين آل كاشف الغطاء: أصل الشيعة وأصولها، محمد حسين، مؤسسة البلاغ المبين، بيروت ـ لبنان، ١٩٩٠م.

■ محمد زكي العشماوي: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة العربية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٨٤م.

■ محمد عابد الجابري: العقل الأخلاقي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ـ لبنان، ط١١، ٢٠١٩م.

■ محمد عابد الجابري: العقل السياسي العربي: محدداته وتجلياته، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ـ لبنان، ط١١، ٢٠١٩م.

■ محمد عابد الجابري: المشروع النهضوي العربي: مراجعة نقدية،

مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.

■ محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ـ لبنان، ط٨، ٢٠٠٧م.

■ محمد عابد الجابري: تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ـ لبنان، ط١١، ٢٠١٩م.

■ محمد عابد الجابري: فهم القرآن الحكيم: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ـ لبنان، ط٦، ٢٠١٦م.

■ محمد عابد الجابري: نحن والتراث، المركز الثقافي العربي، بيروت ـ لبنان، ط٦، ١٩٩٣م.

■ محمود إسماعيل: نهاية أسطورة: نظريات ابن خلدون مقتبسة من رسائل إخوان الصفا، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر، ط١، ٢٠٠٠م.

■ مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ.

■ مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة ونهجها في دراسة اللغة والنحو، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة ـ مصر، ط٢، ١٩٥٨م.

■ ويل ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود، دار

الجيل للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٨٥م.

■ ياقـوت الحموي: معجم البلدان، دار صـادر، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٩٩٥م.

الفهرس

٥ | مقدمة

الفصل الأول |٩
الحَدَاثَةُ العَرَبِيَّةُ.. تَعرِيفُهَا وَسِمَاتُهَا

١١ | المَبحَثُ الأَوَّلُ: الحَدَاثِيُّونَ العَرَبِ اصطِلاَحًا

١٧ | المَبحَثُ الثَّانِي: سِمَاتُ الحَدَاثَةِ العَرَبِيَّة

٢١ | المَبحَثُ الثَّالِثُ: سِمَاتُ الخِطَابِ الحَدَاثِيِّ العَرَبي

الفصل الثَّاني |٢٧
مَوَارِدُ الاستِمْدَادِ الحَدَاثِيّ

٣٠ | المَبْحَثُ الأَوَّلُ: مَوَارِدُ الاِستِمْدَادِ الخَارِجِيّ

٤٠ | المَبْحَثُ الثَّانِي: مَوَارِدُ الاِستِمدَادِ الدَّاخِلِيّ

٤٦ | المَبْحَثُ الثَّالِثُ: مَوَارِدُ الاِستِمْدَادِ المُشْتَرَكِ

الفصل الثَّالثُ | ٥١
النَّصُّ الإِمَامِيّ فِيْ مِيزَانِ الحَدَاثِيِّينَ العَرَبِ

٥٣ | المبْحَثُ الأَوَّلُ: تَقْسِيمَاتُ النَّصّ الإِمَامِيّ

٦١ | المبَحَثُ الثَّانِي: طُرُقُ تَعَامُلِ الحَدَاثِيينَ العَرَبِ مَعَ النَص الإِمَامِي

٧٠ | المبَحَثُ الثَّالِثُ: التُّهَمُ المُوجَّهة للنَّص الإِمَامِي مِن قِبلِ الحَداثِيينَ العَرَبِ

الفصل الرَّابعُ | ٩٥
مُحَمَد عَابِد الجَابِرِي وَالتَّعَامُل مَعَ النَّصّ الإِمَامِيّ

٩٧ | المبَحَثُ الأَوَّل: الانتِقَائِيَّةُ فِي التَّعَامُل مَعَ النَّصّ الإِمَامِيّ

١٠٤ | المبَحَثُ الثَّانِي: الإِقصَاءُ فِيْ التَّعَامُل مَعَ النَّص الإِمَامِيّ

١١٩ | المبَحَثُ الثَّالَثُ: اِتّهَامُ النَّص الإِمَامِيّ بِتُهَمٍ مُتَعَدِدَة

الفصل الخَامسُ | ١١١
مُحَمَّد عَابِد الجَابرِيّ وَالتَّعَامُل مَعَ نُصُوصَ القَضِيَّةِ المَهْدَوِيَّةِ

١٣٥ | المبْحَـثُ الأَوَّلُ: اتّهَامُ النَّصّ الإِمَامِيّ الخَاص بِقَضِيَّةِ الإِمَامِ المَهدِيّ عَلَيهِ السَّلَام بِأَنَّه لَامَعقُول

١٤٦ | المبحَـثُ الثَّاني: اتهَـامُ النَّصّ الإِمَامِيّ الخَـاص بِقَضِيَّةِ الإِمَامِ المَهدِيّ عَلَيهِ السَّلَام بِالهِرمِسِيَّة

١٤٧ | المبْحَثُ الثَّالثُ: اتهَامُ النَّصّ الإِمَامِيّ الخَاص بِقَضِيَّةِ الإِمَامِ المَهدِي عَلَيهِ السَّلَام بِتُهم مُتَعَدِدَةٍ

١٦٩ | الخَاتِمَةُ

١٧١ | المَصَادِرُ وَالمرَاجِعُ

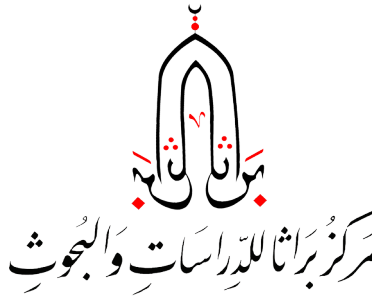

هو مركز بحثي مستقل غير ربحي، مركزه في بيروت وبغداد. ويهدف لفتح المجالات العلمية والاكاديمية الواسعة، أمام الباحثين والمتخصصين؛ للقيام ببحوث تسعى إلى فهم واقع الإنسان والإنسانية، من خلال التركيز على دراسة الميادين الفلسفية، والاجتماعية، والإنسانية المتنوعة، التي تشكّل في مجموعها ذلك الحراك الاجتماعي والإنساني الكبير، الحاصل في العالم، وخصوصا في بلادنا العربية والإسلامية؛ ورصد الظواهر والتحديات الفكرية، والاجتماعية، والاقتصادية، والنفسية المختلفة، التي يمكن أن يواجهها الفرد والمجتمع، ومحاولة فهم ومدارسة الأسس الفلسفية والإجتماعية والدينية التأصيلية بموضوعية وجدة، سعيًا للوصول إلى حلول لها؛ من أجل السمو بالإنسان وتقدّمُه في أبعاده الإنسانية المختلفة.

في هذا الكتاب

إنّ البحثَ عن النصّ ومكانته بالتُراث أمرٌ مهم. ذلك أنّ تُراثَ الشعوب وتاريخها ومنجزاتها، ودينها وعقائدها، وعاداتها وتقاليدها، كل ذلك قد حُفظ عن طريق (النصّ)، ومجموع تلك (النصوص) قد شكّل تاريخ تلك الشعوب؛ وهذه النصوص المُدوّنة قد مرّت بتاريخٍ طويلٍ من الأخذ والردّ، ومن الأزمات؛ وكذلك وجود أيدٍ تُريد العبثَ بها، وتُريد تحريفها، أو تُريد استبدالها بنصوصٍ أُخرى مصنوعة بحسب الطلب. ومن تلك النصوص ما يتعلق بقضيّة الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه، وما تعرضت له عبر التاريخ من تُهم وشُبهات واشكالات، مما يتوجّب توضيح كل ذلك، وتوجيه القارئ إلى الطرق الصحيحة في القراءة والبحث.

- الدراسة لا تعبر بالضرورة عن رأي المركز -

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد